الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة-
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

الموضوع

المنهج الحدسي عند برغسون

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة :
نسيمة حشاشي

إشراف :
الدكتورة: خيرة بورنان

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. خوني ضيف الله	أستاذ محاضر أ	رئيسا
د. خيرة بورنان	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا
أ. ربيعة مجكدود	أستاذ مساعد أ	مناقشا

السنة الجامعية (2018/2017)

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر لله

أتقدم بكل آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة خيرة بورنان.

مقدمة

مقدمة

تتميز الفلسفة البرغسونية فلسفة بأنها ذات طابع فكري، إذ أنها نادت بضرورة تجاوز دعاوى العلم التي كانت تنادي بالإجرائية والرقمية. ولا طالما نادى هنري برغسون(*) عبر مؤلفاته بضرورة تجاوز الصيغة الخالصة بالمعرفة ونادى بضرورة اكتشاف سبل أخرى للمعرفة فوظف الحدس كوسيلة للولوج إلى عالم التجربة الباطنية وهي تجربة لها من الخصوصية المميزة ما يجعلها تنتمي إلى ما وراء العقل والعلم فهناك معرفة لا تدرك إلا بالحدس.

(*) هنري برغسون Bergson, Henri فيلسوف فرنسي ولد في باريس (1859-1940) من أسرة يهودية، كان في المدرسة الثانوية تلميذا متفوقا في العلوم إلا أنه اختار الفلسفة وتخرج من مدرسة المعلمين العليا على يد أساتذة معروفين أمثال: إيميل بوتور سنة 1901، وعيّن أستاذا في "كوليج دي فرانس" حيث قضى 15 سنة يلقي المحاضرات، ومن هنا ذاع صيته وأصبح له معجبون كثيرون، كما حصل برغسون على جائزة نوبل للسلام سنة 1928، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب بعنوان محاولة مباشرة في الوقائع للوجدان 1889، كتاب المادة والذاكرة 1896، التطور الخلاّق 1907، ينبوع الأخلاق والدين 1932، الفكر المتحرك 1934، الديمومة والتزامن 1922، الضحك، الطاقة الروحية. ينظر: جميل الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، قاموس عربي انجليزي، ط1، مكتبة لبنان، 2000، ص 99.

و هدف هذه الدراسة تقديم مفهوم موجز للحدس في نظر برغسون بالإضافة إلى ضبط العلاقة بين الحدس والجمال، والحدس والأخلاق، بالإضافة إلى الحدس باعتباره قيمة معرفية ومن أجل التعرف على هذه العناصر طرحت الإشكالية الآتية:

الإشكـــالية:

تتمحور الإشكالية الرَّئيسية لهذا البحث حول مفهوم الحدس عند برغسون وطبيعته: **هل يصلح الحدس وهو المعرفة المباشرة لأن يكون منهجا لدراسة الجوانب القيمية ذات الطابع الروحي عند الإنسان؟**

خطة الدراســـة:

إنّ محاولتنا الإجابة عن هذه الإشكالية، أسلمتنا إلى تقص منهجي قوامه مقدمة، فيها تمهيد وبيان لمحتوى الموضوع، و ثلاثة فصول.

جاء **الفصل الأول** بعنوان: **في مفهوم المنهج وأنواعه**، ويتضمن عنصرين رئيسين: **الأول** بعنوان: **مفهوم المنهج**، تطرقت فيه إلى مفهوم المنهج لغة واصطلاحا. أما **العنصر الثاني** وعنوانه: أنواع المناهج، تطرقت من خلاله لأهم المناهج، والتي يقف برغسون منها موقف الرافض، كالمنهج العقلي والمنهج التجريبي لأنهما لا يستطيعا النفاذ إلى الروح.

وجاء **الفصل الثاني** بعنوان: **حقيقة الحدس وقواعده عند برغسون** ، ومن خلال عنصريه الأول والثاني على التتالي(مفهوم الحدس عند برغسون) و(الحدس وقواعد توجيه التفكير عند برغسون) تطرقت إلى حقيقة الحدس عند برغسون بوصفه ديمومة، وقواعد المنهج الحدسي.

أما **الفصل الثالث** والأخير وهو بعنوان: **الحدس في مجال القيم** ، ويتضمن عنصرين، **الأول** بعنوان: الحدس والقيم الخلقية ، **والعنصر الثاني** بعنوان: الحدس والقيم الجمالية. وجاء في آخر هذا البحث خاتمة فيها حوصلة لأهم النتائج.

وحتى تتم هذه الدراسة اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع كما اعتمدت على تحديد بعض المفاهيم و المصطلحات ومنها مفهوم الحدس على مجموعة من المعاجم والقواميس والموسوعات.

ومن بين مصادر هنري برغسون التي اعتمدت عليها: التطور المبدع، منبعا الدين والأخلاق.

ولقد استدعت طبيعة البحث الاعتماد على **المنهج التحليلي**، وهو منهج لا غنى عنه في المسائل الفلسفية وذلك من خلال عملية تحليل الآراء والأفكار واستنباط منها ما يفيد في البحث .

وقد كانت لي جملة من الدوافع في اختيار هذا الموضوع، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، فالدافع الذاتي هو ميلي الى دراسة الفلسفة الفرنسية، أما الجانب الموضوعي فهو التعرف على وجهة نظر برغسون حول طبيعة المنهج.

الفصل الأول

في مفهوم المنهج وأنواعـــه

أولا : مفهوم المنهج

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

ثانيا: أنواع المناهج

أ/ المنهج العقلي(منهج ديكارت)

ب/ المنهج التجريبي

ج/ المنهج التاريخي

د/ المنهج الحدسي

أولا: مفهوم المنهج

أ/ المنهج لغة:

تشير القواميس والمعاجم اللُّغوية والفلسفية الَّتي تناولت اللّفظ ((منهج)) بالتّعريف إلى أنّه يعني الطّريق الوّاضح، والمسلك البيّن المستقيم .ففي اللّغة العربية ((منهج)) مشتقة من ((نَهَجَ)) أي : سلك ... ومنه النَّهج الَّذي يرادف معاني السبيل والطريق وهذا بحسب ما أورده (ابن منظور) فالمنهج عنده « **الطّريق الوّاضح، ونهج الطّريق أي تبينّه، وأُنهجَ الطّريق : وضّح واستبان** »[1]. وهي الدَّلالة اللّغوية نفسها الَّتي جاءت في المعجم الوسيط : «**نهج الطريق نهجا، ونهوجا: وضح واستبان ...استهنج الطريق، صار نهجا، والمنهاج الطريق الواضح والجمع مناهج** »[2].

وفي القرآن الكريم اللفظ منهج لم يرد إلاَّ مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى في الآية 48 من سورة المائدة ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾. ومنهاجا في الآية الكريمة تعني كما أورد ذلك معظم المفسرين الطَّريق الواسع السَّهل، والمسلك الواضح البيّن. استعمل لفظ المنهاج. وليس المنهج، فالمنهاج هو الطريق أو الشَّريعة في حين أنَّ المنهج مجرد طريقة في الاستدلال، والمنهاج أسلوب حياة، و نظام أخلاقي واجتماعي وسياسي في حين أنَّ المنهج اقرب إلى النظر.

1- ابن منظور: **لســـــان العرب**, ج2، ، دار صادر، ط1، بيروت. لبنان، د. ت، ص 383 .

2- إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيـــــط**، ج1، المكتبة الإسلامية اسطنبول. ـ تركيا, د. ت ، ص 957 .

أما كلمة منهج باللّغة الفرنسية (METHODE) ونظائرها في اللّغات الأوروبية فهي مستمدة من الكلمة اليونانية (Méthodos)، وأصلها (odes) الَّتي تعني الطّريق أو النهج الَّذي يؤدي إلى الهدف المتوخى التوصل إليه.

بـ/ المنهج اصطلاحا:

يعرفه عبد المنعم حنفي على الآتي« **المنهج هو الطريق الموصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب و بالمعنى العلمي هو مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين**»[1]، إنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

ويعرف العلم الذي يختص بدراسة المناهج بعلم المناهج (الميتودولوجيا)، وهذه التسمية ترجع خصوصا إلى **كانط**، فقد كان أول من نّبه إلى هذا العلم، وذلك من خلال تقسيمه المنطق إلى قسمين : مذهب المبادئ، و موضوعه شروط المعرفة الصحيحة. ، أما القسم الثاني، فهو علم المناهج، **méthodologie** الذي يحدد الشكل العام لكل علم والطريقة التي بها تكوّن أي علم[2] .

وعلى نحو ما تقدم فإنّ كلمة (علم المناهج) جاءت وليدة مباحث فلسفية, وصدرت عن ميدان خصب من ميادين المنطق، بل إنّ مشكلة المناهج هي من مقاصد المنطق الرئيسية عند **لالاند**، ومما ورد في معجمه؛ أنّ مناهج العلوم أو الميتودولوجيا، تعد جزءا جوهريا من أجزاء المنطق.

– عبد المنعم حنفي: **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ط3، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة ـ مصر، 2000، ص 8451

2– عبد الرحمن بدوي: **مناهج البحث العلمي**، وكالة المطبوعات , الكويت , ط 3, 1977 ، ص7 .

ثانيا: أنواع المناهج

إنَّ نوع الموضوع هو الذي يحدد لزوما نوع المنهج، و كلما كان الموضوع محددا و واضحا كان اختيار المنهج المناسب لهذا الموضوع أمرا سهلا، و كانت النتائج أكثر دقة ولما كانت مواضيع العلوم مختلفة و متباينة فيما بينها كانت المناهج هي الأخرى متعددة و سنأتي على ذكر بعض المناهج المتبعة في دراسة الظواهر بمختلف أنواعها.

أ/ المنهج العقلي(منهج ديكارت)

يرتبط المنهج العقلي بديكارت، ويتكون هذا المنهج كما يذكر ذلك ديكارت في كتابه مقال في الطريقة(1637)، من أربعة قواعد:

ـ قاعدة البداهة والوضوح:

هي أول قواعد المنهج عند ديكارت، ومضمونها كما يقول:« **ألا أقبل شيئا ما على أنَّه حق، ما لم أعرف، يقينا أنَّه كذلك: بمعنى أن أتجنب بعناية التَّهور والسَّبق إلى الحكم قبل النَّظر. وألا أدخل في أحكامي إلاّ ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميُّز، بحيث لا يكون لدي أي مجال لوضعه موضع الشك**»[1]. وتعرف هذه القاعدة بقاعدة الشك واليقين، وهي أساس المنهج الديكارتي.

ـ قاعدة التحليل:

يقصد **بالتحليل**« **إرجاع الكل إلى أجزائه . فإذا كان الشيء المحلل واقعيا سمي التحليل حقيقيا أو طبيعيا ، وإذا كان ذهنيا سمي التحليل خياليا**»[2]. وقاعدة التحليل عند

1- **رنيه ديكارت: مقال عن المنهج**، ترجمة، محمود محمد الخضيري، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1985، ص 131.

2- جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** ، مرجع سابق، ج1، **مادة التحليل** ، ص254

ديكارت، مفادها كما يقول: « **أن أقسِّم كل واحدة من المعضلات الَّتي سأختبرها إلى أجزاء قدر المستطاع، وعلى قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه**»[1]. ومن خلال التحليل يتم عزل صفات الشيء عن بعضها البعض حتى يتسنى إدراكه إدراكا كاملا.

وقد يكون الشيء الذي نحن بصدد تحليله شيئا ماديا، وقد يكون مفهوما مجردا أو حادثة تاريخية أو خطابا لغويا، ففي الأشياء المادية يميز الباحث بين عناصرها الأولية لمعرفة خصائص كل عنصر، ومعرفة دور هذا العنصر في الظاهرة وعلاقته مع باقي العناصر المشكلة للظاهرة، أما في المعنى المجرد فيبحث العالم عن المعاني الجزئية التي ينشأ باجتماعها هذا المعنى.

وفي عملية التحليل ننتقل من المجهول إلى المعلوم، لأننا نبدأ من فكرة كلية غامضة و مجهولة ونصل إلى أجزاء واضحة ومعلومة. لكن التحليل لا يؤتي نتائجه إلا إذا صحبته عملية عقلية أخرى، وهي المقارنة التي ترشد الباحث إلى أوجه الشبه أو الخلاف بين الظاهرة التي يدرسها وبين الظواهر الأخرى، التي سبقت معرفتها ، وهذه المقارنة ضرورية في تصحيح المعلومات و ربطها.

ـ قاعدة التركيب:

يقابل التحليل التركيب، و هو « **تأليف الكل من أجزائه، فإذا ركبت الماء من الأوكسجين والهيدروجين ، كان تركيبك تجريبيا و إذا جمعت المبادئ البسيطة و ألفت منها نتائج مركبة كان تركيبك عقليا**»[2]. ويهدف التركيب إلى التأكد من صحة النتائج

1 – رنيه ديكارت: **مقال عن المنهج، مرجع سابق، ص131.**

2 – جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** ، ج1، **مادة التركيب** ، ص268.

التي انتهى إليها التحليل، يقول ديكارت« **أن أسير بأفكاري بنظام، بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة، كي أتدرج قليلا قليلا حتى أصل إلى معرفة أكثرها ترتيبا، بل وأن افرض ترتيبا، بين الأمور الَّتي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع**»[1].

ـ قاعدة الإحصاء والمراجعة:

وهي آخر قاعدة من قواعد المنهج الديكارتي، وعنها يقول ديكارت:« **أن أعمَل في كلِّ الأحوال، من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة، ما تجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئا**»[2]. من أجل الوصول إلى المعرفة اليقينية.

بـ/ المنهج التجريبي

يرتبط المنهج التجريبي بالعديد من الفلاسفة والعلماء، ويأتي على رأس هؤلاء الفيلسوف الإنكليزي، فرنسيس بيكون صاحب كتاب الأرغانون الجديد، وعالم البيولوجيا الفرنسي كلود برنار، والفيلسوف الإنكليزي جون ستيوارت مل. وكل واحد ساهم بشكل معتبر في صياغة وبلورة المنهج التجريبي. و التجربة في هذا المنهج تعتبر الركيزة الأساسية لأنها تفّعل الفرضية و الملاحظة. و على هذا تكون خطوات المنهج التجريبي كالتالي:

ـ الملاحظة :

تعتبر الملاحظة أساس الفكر الواقعي، الَّذي يدرس الظواهر المحسوسة، وهي تركيز للحواس والعقل معا على الظاهرة موضوع البحث، تركيزا متواصلا وحاضرا يتابع الظاهرة

1- رنيه ديكارت: **مقال عن المنهج**، مرجع سابق، ص 132.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

في جميع عناصرها المركبة، وفي جميع شروطها، كملاحظة عالم الفلك لحركة كوكب معين .

وتتميز الملاحظة العلمية عن غيرها، بأنَّها ملاحظة منهجية يقوم بها الباحث بصبر وأناة، للكشف عن تفاصيل الظواهر وعن العلاقات الخفية الَّتي يوجد بين عناصرها، أو بين بعض الظواهر الأخرى. كما تتميز بأنَّها عميقة، دائمة ومستمرة، توجهها خطة في البحث عن نظام الظَّواهر. وفضلا عن ذلك فهي ملاحظة مسلحة ومنهجية وهادفة[1].

كما اشترط **غاستون باشلار** في الملاحظة العلمية أن تكون ملاحظة إشكالية، تفرض على العالم التساؤل وطرح المشكل، فنقطة الانطلاق بالنسبة إلى الباحث ليست الواقعة وإنما هي المشكل الذي تطرحه هذه الواقعة[(2)].

ـ الفرضية :

إن الوقائع الَّتي لاحظها العالم لا تكفي وحدها في تشيد وإقامة العلم، بل يتطلب الأمر القيام بعمل إيجابي يؤدي إلى تفسير تلك الوقائع الَّتي جمعها و الربط بينهما، وهذا ما يتطلب العثور على جانب من الأفكار أي الفروض .

والفرض هو فكرة أو قضية تستهدف شرح وتفسير الظواهر الطبيعية، فهو الخطوة التَّمهيدية للقانون العلمي، أو هو عبارة عن مشروع قانون يضعه العالم بناء على ما تجمع لديه من ملاحظات وتجارب.

وحتَّى يكون الفرض علميا، فلا بدَّ أن تتوفر فيه شروط أهمها :

---

[1]– محمود قاسم: **المنطق الحديث ومناهج البحث**، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، 1970 ط 6، ص 110، 120.

2– الدراجي زروخي: **المذاهب الفلسفية الكبرى**، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية ـ الجزائر، ط1، 2015، ص103.

ـ ينبغي أن يكون منطلقا من الواقع أي؛ من مختلف الملاحظات و التَّجارب المتعلقة بظاهرة معينة،

ـ خال من التَّناقض، وهذا يقتضي من الباحث القيام بنقد مكثف له قبل صياغته،

ـ متفقا ومنسجما مع الحقائق التي توصل إليها العلم وتأكد من صدقها العلماء،

ـ يصاغ صياغة واضحة بعيدا عن كل التباس أو غموض[1].

ـ التجربة :

هي إحداث الظَّاهرة وفق شروط يصطنعها الباحث في ضوء فرض من الفروض، وذلك ابتغاء التَّأكد من صدق أو كذب الفرضية الَّتي وضعها. أو هي إعادة ملاحظة الظَّاهرة في المخبر ضمن شروط خاصة يحددها الباحث؛ حيث يتمكن الباحث فيها من ضبط ظروف الدِّراسة، والغاية هنا هي دراسة أثر متغير معين على متغير أو أكثر، وذلك بضبط أثر العوامل الأخرى الَّتي يمكن أن تؤثر في النتيجة.

وينبغي الإشارة إلى أن التجريب يتم على صورتين؛ صورة مباشرة و هي اللجوء إلى الواقعة في الطبيعة مباشرة و يقترب التجريب هنا من المنهج الاستقرائي، و تجريب غير مباشر و يتمثل في إعادة تشكيل الظاهرة بعد تأسيس الفرضية مخبريا[2].

وعمق جون ستوارت مل (John.Stewart.Mill) المنهج الاستقرائي، و جعل منه منهج علمي لفهم جميع الظواهر. وقد وضع جون ستوارت مل الطرق الاستقرائية للتحقق من الفروض.

1- كلود برنارد: **مدخل إلى دراسة الطب التجريبي**، ترجمة يوسف مراد، د. ت ، ص55 .

2- محمد محمد قاسم: **المدخل إلى فلسفة العلوم** ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ـ مصر،1966. ص 108

إن تحقيق الفُروض هي المرحلة الأخيرة التي يكتمل بها البحث العلمي التجريبي، وليس يكفي الأخذ بفرض من الفُروض أن تُثبته بعض التجارب والملاحظات، بل لابد من المثابرة على تكرار التجربة حتى يتمّ التأكد تأكدا تاما من صحّة الفُروض ولا يصبح الفرض قانونا علميا إلاّ بعد اختبار دقيق، لهذا حرص ج. س.مل على تطوير طرائق تحقيق الفروض ويرى « **أن طرقه هذه، وإن استخدمت في الكشف عن القوانين، فإنها الطرق الوحفي البرهنة**»[1] .

ويذكر محمد الشنيطي أنّ ج.س.مل عرض أربع طُرق لتحقيق الفُروض في كتابه (نسق المنطق)، وهي على التوالي:

أ- طريق الاتفاق أو التلازم في الوقوع.

ب- طريقة الاختلاف أو التلازم في التخلُّف.

ج- طريقة التغير النسبي.

د- طريقة البواقي.

وقد اختلف المناطقة وعلماء المناهج في تحديد الطريقة الرابعة، فيرى البعض أنها هي الطريقة الأولى والثانية مُجتمعتان، ويرى البعض الآخر أنّها تكرار للتغيّر النسبي[2].

أ- طريقة الاتفاق:

تعني هذه الطريقة أنه إذا اشتركت حالتان أو أكثر من حالات الظاهرة المراد بحثها في عامل واحد فإنَّ ذلك العامل الَّذي تشترك فيه كل الحالات هو العلة (أو المعلول)

[1] – محمود قاسم: **المنطق الحديث ومناهج البحث العلمي**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ـ مصر، ط2، ص154.

[2] – محمد فتحي الشنيطي: **أسس المنطق والمنهج العلمي**، مرجع سابق، ص145.

لتلك الظاهرة، أو بمعنى آخر: « **طريقة الاتفاق مفادُها أنّه إذا اشتركت حالتان أو أكثر للظاهرة المُراد بحثها في عامل واحد، كان هذا العامل الذي يثبُتُ في جميع الحالات هو علّة الظاهرة أو معلولها**»[1]. مثال ذلك ما فعله بليز باسكال (1822–1895) عندما راح يتحقّق من فرضية تورشلي (1608–1697) في الضغط الجوي، فغيّر أشكال الظاهرة (ب) باستعماله لسوائل مُختلفة (زئبق– ماء –كحول) ولأنابيب مختلفة الأشكال، ولم تتغيّر نتيجة الضغط الجوّي الظاهرة (أ) بتغيُّر أشكال الظاهرة (ب)، وبهذا تحقّق باسكال من صحّة فرضية تورشلي.

ب– طريقة الاختلاف:

حدد مل هذه الطريقة بقوله:« **إذا اشتركت الحالتان، اللتان توجد الظاهرة في إحداهما ولا توجد في الأخرى، في جميع الظروف ما عدا ظرفا واحدا لا يوجد إلا في الحالة الأولى وحدها فإن هذا الظرف الوحيد الذي تختلف فيه الحالتان هو نتيجة الظاهرة أو سببها أو جزء ضروري من هذا السبب** »[2] .

ومعناها إذا لوحظ شيء معين في(أ) ونحن بصدد البحث عن ظاهرة ما يحدث بطريقة متكررة، لا استثناء في حدوثه، سابقا على شيء آخر **(ب)** لوحظ تابعا له بطريقة متكررة بلا استثناء، وأنَّ السابق (أ) يلاحظ عدم حدوثه بطريقة ثابتة حين لا نجد **(ب)** فان (أ) علة **(ب)** . وبفضل هذه الطريقة يمكن التأكد من أنَّ وجود الهواء على سماع صوت الجرس . وتقوم على الإيمان بتلازم العلة والمعلول في العدم، بمعنى أنه متى عدمت العلة عدم المعلول.

---

[1] – محمد فتحي الشنيطي: **أُسس المنطق والمنهج العلمي**، مرجع سابق، ص145.

[2] - محمود قاسم: **المنطق الحديث ومناهج البحث العلمي**، مرجع سابق، ص159

والعالم– هنا – يدرس حالتين تقع الظاهرة في إحداهما ولا تقع في الأخرى، ويحلل جميع ظروف الحالتين، فإن انتهى إلى أن الحالتين متفقتان في كل شيء سوى أمر واحد، ورأى أن هذا الأمر الواحد كان موجودا في الحالة التي وقعت فيها الظاهرة وغير موجود في الأخرى، استنتج أن من الراجح أن يكون هذا الأمر الموجود في حالة والمفقود في أخرى هو علة وجود الظاهرة.

وبهذه الطريقة يستنتج – مثلا – أن الأوكسجين علة في الاحتراق لأن عدم وجوده يسبب امتناع الاحتراق، وأن الهواء علة في سماع الأصوات لأن عدم وجوده يستحيل سماع الأصوات.

ج– طريقة التغير النسبي :

إن الزيادة أو النقص في المعلول مرتبط بالزيادة أو النقص في العلة في الحالات التي لا تسمح بالزيادة آو النقصان.

وهذه الطريقة لا تبحث في العلاقة العلية بين العلة والمعلول وإنَّما تبحث في العلاقة الكمية بينهما، وعرف ج. س. مل هذه الطريقة كما يلي: « **إنّ الظاهرة التي تتغير على نحو ما كما تغيرت ظاهرة أخرى على نحو خاص. تعد سببا أو نتيجة لهذه الظاهرة أو مرتبطة بنوع من العلاقة السببية** »[1]. كما هو الشأن بالنسبة إلى الحرارة والجسم، إذ لا حرارة بدون جسم، ولا جسم بدون حرارة.

وبهذه الطريقة انتهى العالم إلى معرفة حركة المد والجزر معلولة لجذب الشمس والقمر إلى الأرض، وذلك لأن تغير المد والجزر يتبع بانتظام حركة الشمس والقمر طول

[1] - محمود قاسم: **المنطق الحديث ومناهج البحث العلمي**، مرجع سابق، ص159.

السنة.و انتهى بسببها أيضا إلى معرفة أن حجم الغاز والضغط الواقع عليه يتناسبان تناسبا عكسيا، وإلى معرفة تحديد العلاقة بين العرض والطلب في الأسواق التجارية.

د- طريقة البواقي:

مضمون هذه الطريقة عند ج. س. مل هو: « **إذا حُذفت من ظاهرة ما يُعرف بالاستقراءات السابقة أنّه معلول بعض المُقدمات من ظاهرة هو معلول المُقدمات الباقية**». فإذا كانت لدينا ظاهرة ما تحتوي ما وتحتوي على عناصر متعددة وعرفنا بالطُّرق السابقة العلاقة العلية بين بعض من هذه العناصر، فإنَّ ما تبقى من تلك العناصر تكون العلاقة بينهما علاقة علة بمعلول[1].

وبهذه الطريقة اهتدى (ليفرييه) إلى اكتشاف الكوكب (نبتون) وذلك حينما وجد انحرافا في مدار الكوكب (يورانوس) ونسب ذلك الانحراف إلى وجود كوكب آخر قريب منه، لأن الظواهر الفلكية الأخرى المتصلة بالكوكب (يورانوس) معروفة لديه سوى الظاهرة الباقية وهي ظاهرة انحراف مدار (يورانوس) فإذن من الراجح أن تكون علتها هي وجود كوكب آخر قريب منه.

ج/ المنهج التاريخي:

إذا كان التاريخ يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة ولا سبيل لتكرارها فإنَّ مهمة علم التَّاريخ أو التَّأريخ أن يقوم بوظيفة مضادة لفعل التَّاريخ ألا وهي أن يحاول استرداد ما كان في الزمان[2]، بإتباع خطوات المنهج التَّاريخي.

1- محمود قاسم: **المنطق الحديث و مناهج البحث**، مرجع سابق، ص 278، 280.

2- عبد الرحمن بدوي: **مناهج البحث العلمي**، ط 3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص 183 .

والمنهج التَّاريخي بأنَّه مجموعة الطرائق والتِّقنيات الَّتي يتبعها الباحث في جمع معلوماته عن الأحداث والحقائق الماضية، وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتَّأكد من صحتها، وفي عرضها وترتيبها وتفسيرها، واستخلاص التَّعميمات والنَّتائج العامة منها. ويتكون المنهج التاريخي من الخطوات الآتية:

بعد تحديد موضوع البحث مكانيا وزمانيا والأشخاص الذين اتصلوا به من قريب أو من بعيد، يقوم الباحث بجمع المصادر (كالوثائق والسجلات) التي تعتبر المادة الأساسية للمؤرخ، وبعد ذلك يقوم الباحث بنقدها نقدا داخليا يتعلق بالجانب الضمني للمصادر، و نقدا خارجيا يتعلق بالجانب الخارجي للوثيقة، و بعد ذلك يقوم الباحث بعملية تركيب الأحداث التاريخية و سد الفراغات و الفجوات التي تظهر بعد عملية التركيب، في محاولة لبلوغ الحقيقة التاريخية[2].

وبانتهاء الباحث من جمع معلوماته ونقدها وفحصها وتحليلها ومن اختبار الفروض المختلفة الَّتي قدمها لتَّفسير الحوادث والظَّواهر التَّاريخية الَّتي يدرسها، فإنَّ عليه أن ينتقل إلى المرحلة النِّهائية والأخيرة من بحثه، وهي مرحلة العرض، وهي خطوة عملية أكثر منها نظرية، ومهمة المؤرخ فيها أن يعرض الأحداث وفقا للصِّيغ الَّتي اختارها، وإن يرتبها بحيث يمكن أن تنقل إلى الآخرين[1].

1- عبد الرحمن بدوي: **مناهج البحث العلمي** ، ص221 .

د/ المنهج الحدسي

1- تعريف الحدس لغة واصطلاحا

الحدس في اللغة: الظن والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والأمور، والنظر الخفي، والضرب والذهاب على غير هداية. لقد جاء في لسان العرب« **وحدس الأزهري: الحدس: التوهم في المعاني الكلام والأمور. بلغني عن فلان أمر وأن أحدس فيه: أي أقول بالظن والتوهم. وحدس عليه ظنه، يَحْدِسه، ويَحْدُسه، حدسا: لم يحققه. وتحدّس أخبار الناس وعن أخبار الناس: تخبر عنها وأراغها(= طلبها) ليعلمها من حيث لا يعرفون به ... وأصل الحدس: الرمي، ومنه حدس الظن: إنما هو رجم بالغيب. والحدس الظن والتخمين. يقال يحدس بالكسر(أي كسر الدال): أي يقول شيئا برأيه... وحدس الكلام عن عواهنه: تعسّفه ولم يتوقه»** [1].

وهو التعريف نفسه الذي يقدمه صليبا، فالحدس في اللغة: الظن والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والأمور، والنَّظر الخفي، والضرب والذهاب على غير هداية[(2)].

أما الحدس اصطلاحا فقد عرفه الجرجاني في قوله: «**الحدس هو تمثيل المبادئ المرتبة في النفس دفعة من غير واختيار، سواء بعد الطلب فيحصل المطلوب**»[3]، وعرفه إبراهيم مذكور بأنه: « **الإدراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة**»[4]. والحدس بشكل عام، هو اطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس

1- عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ج1، مرجع سابق، ص457، 458

2- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، مادة: **الحدس**، دار الكتاب، لبنان، 1982، ص 452.

3- نقلا عن، جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، مرجع سابق، ص 452.

4- إبراهيم مدكور: **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاصرة ـ مصر، 1983، ص70.

الظاهر، أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية، أو على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحي مفاجئ، لا على سبيل القياس، ولا عل سبيل المشاهدة التي ينبلج فيها الحق انبلاجا[1].

وجاء تعريف الحدس في موسوعة **لالاند** الفلسفية بدلالات مختلفة:

أ- معرفة حقيقية بينة(جلاء عقلي تام)، مهما تكن طبيعتها، تستعمل مبدأ ومرتكزا للاستدلال النظري، وتدور حول الأشياء وحول علاقاتها أيضا.

ب- نظرة مباشرة وفورية لموضوع فكري ماثل الآن أمام الفكر ومدرك في واقعه الفردي.

ج- كل معرفة تأتي دفعة واحدة وبلا مفاهيم. ويستعمل شوبنهاور الكلمة في هذا المعنى الواسع جدا ويتداولها إلى أبعد حد. فالحدس بهذا المعنى لا يعطينا الأشياء وحسب، بل يعطينا علاقاتها أيضا، حتى أنه يقال على خواص الأعداد، والأشكال الهندسية، بوصفها تدرك دفعة واحدة بنظرة واحدة وبلا استدلال.

د- معرفة فريدة منفردة بذاتها، قابلة للمقارنة بالغريزة والحس الجمالي، تكشف لنا عن الكائنات بذاتها، في مقابل المعرفة النظرية العقلية والتحليلية التي تجعلنا نعرف الكائنات من الخارج، ويطلق اسم الحدس على هذا النوع من التولد الفكري الذي يجري من خلاله الانتقال إلى داخل الموضوع لأجل التطابق مع ما ينفرد به تاليا وما لا يمكن التعبير عنه.

هـ- ضمان الحكم وسرعته؛ كالحدس الرياضي[2].

1- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، مرجع سابق، **مادة: الحدس**، ص 452.

2- أندري لالا ند: **الموسوعة الفلسفية** ، ترجمة ، خليل أحمد خليل، ج 2، **مادة: حدس**، منشورات عويدات، بيروت ـ لبنان، ط 2، 2001، ص701، 704.

2- أنواع الحدس

- ✓ **الحدس السيكولوجي:**

ويعني ان الواقع الوحيد الذي يمكن ادراكه إدراكا مباشرا هو فكرنا وحالاتنا الشعورية كالشعور بالألم والشعور بالحزن والشعور بالفرح...إلخ.

- ✓ **الحدس الحسي:**

وهو إدراك الواقع الخارجي إدراكا حسيا مباشرا، باعتبار أن الحواس المختلفة تضعنا على اتصال مباشر مع اشياء موجودة في الخارج.

- ✓ **الحدس العقلي:**

وهو إدراك العلاقات، ويتخذ شكلين: الأول هو الحدس المبدع، وهو ضرب من الادراك المسبق والغامض الذي لا يمكن عده معرفة واضحة تماما، بل هو توقع للعلاقات أكثر منه إدراك حقيقي لها. اما الشكل الثاني فيتعلق بحدس البداهة، وهو الذي يجعلنا ندرك، دون أي إمكان للخطأ، أو الشك، وضوح فكرة ما أو حقيقة ما.

- ✓ **الفلسفي للحدس:**

أدرك الفلاسفة منذ القديم أهمية الحدس كطريق من طرق المعرفة، ففي الفلسفة اليونانية تحدث أفلاطون وتلميذه أرسطو عن الحدس؛ حيث يشير أفلاطون في عدد من المحاورات إلى طريق للمعرفة يفوق طريق العقل بمعناه المعتاد، ولا تبلغه النفس إلا بعد رياضة طويلة، وهو المنهج الجدلي، لكنه تراجع عن هذا الرأي، فالمرء يحتاج وراء الجدل إلى الحدس[1].

1- الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 1990، ص42 .

أما أرسطو فيصف العلم بأنه برهان أو استنباط، إلا أن كل استنباط يكون من شيء هو في نهاية الأمر غير مستنبط. ولابد من تقبل وجود معرفة أعلى من العلم ذاته، وهي الحدس، فالحدس هو الذي يدرك المبادئ[1].

والحاصل أن أفلاطون وأرسطو، نظرا إلى الحدس هو تصور فوري للمبادئ الأولى، وبالتالي تعبير عن معرفة أكيدة لأنه فيها الفكر يصل مباشرة إلى محتوياته.

والحدس الذي اصطلح عليه الفلاسفة القدماء من المسلمين مأخوذ من معنى السرعة في السير. قال ابن سينا في كتابه النجاة: «**الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب، أو إصابة الحد الأكبر إذا أصيب الأوسط، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول**»[2]. وقال الجرجاني في تعريفاته: «**الحدس هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب**»[3]، وقال التهانوي: «**الحدس هو تمثل المبادئ المرتبة في النفس، دفعة من غير قصد واختيار، سواء بعد طلب أو لا، فيحصل المطلوب**»[4]، والمقصود بالحركة وسرعة الانتقال تمثل المعنى في النفس دفعةً واحدة في وقت واحد، كأنه وحي مفاجئ، أو وميض برق .

- ✓ **الحدس الميتافيزيقي:**

وهو الذي يسمح بالإدراك المباشر، إما لوجود معين وواقع معين، مثل الكوجيتو الديكارتي، أو هو إدراك للماهيات الخالصة، كحدس الماهيات عند هوسرل، أو الحدس

1- الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، ص43.

2- نقلا عن، جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، مادة: **الحدس**، مرجع سابق ص 452.

3- المرجع نفسهن الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه الصفحة نفسها.

الانفعالي للقيم عند تلميذه ماكس شيلر. وقريب من الحدس الميتافيزيقي، حدس الاشراقيين الذين يزعمون أنهم يرتقون من مشاهدة الصور والأمثال إلى إدراك الحقائق المطلقة[1].

وقريب من الحدس الميتافيزيقي الحدس عند بعض الإشراقيين، هو ارتقاء النفس الإنسانية إلى المبادئ العالية حتى تصبح مرآة مجلوة تحاذي شطر الحق، فتمتلئ من النور الإلهي الذي يغشاها، من دون أن تتحل فيه انحلالاً تاما. ويسمى هذا الامتلاء من النور الإلهي كشفا روحيا، أو إلهاما.

وحتى يقوم الحدس بدوره في الفلسفة فلابد من توافر شرطين:

- ✓ إعدادا خاصا في البداية، فقد طالب أفلاطون الفلاسفة بخمس سنوات من الدراسات الجدلية، وبالتالي بجهود شاقة قبل الوصول إلى قمة الحدس العقلي الذي يسمح برؤية المعاني،
- ✓ عرض الحدس، بعد تحققه، على محك النظر وتمحيصه[2].

1- جلال الدين سعيد : **معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية**، دار الجنوب، تونس 2004، ص 151.

2- الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، ص 45، 46.

الفصل الثاني

حقيقة الحدس وقواعده عند برغسون

أولا: مفهوم الحدس عند برغسون

أ/العقل والحدس

ب/ الحدس والديمومة

ثانيا: الحدس وقواعد توجيه التفكير عند برغسون

أ/ القاعدة الأولى: الحدس هو الذي يبتدع المشكل الحق

ب/ القاعدة الثانية: الحدس هو مبدأ التفريق بين الأشياء

ج/ القاعدة الثالثة: الحدس يقتضي التفكير بالزّمان

أولا: مفهوم الحدس عند برغسون

إن الحدس عند برغسون ليس مجرد حالة فكرية ، إنه انفعال ممتلئ بالنشاط والحيوية التي ترتبط بالتجربة الحية وليس بعالم الأنساق والأفكار. إنه يمثل الحدس البرغسوني أكثر التصورات الفلسفية التصاقا بالأنا لأن كل العوائق التي تمنعها من الاتصال المباشر مع العالم الخارجي، من جهة ومن الاتصال ، ومن التواصل مع محيطها الداخلي المفعم بالوعي والحياة من جهة أخرى. وعليه فالحدس، وقفا لهذه الصورة الشفافة، يعطي لنا، من شيء ما او من كائن ما أصالته وفرادته اللتين لا يمكن تعويضهما، وهو يمثل بذلك نوعا من المعرفة الخاصة بفردانية كل كائن، بالإضافة إلى ما لهذه من عناصر خاصة بذاتها ولذاتها[1].

وإذا كان الحدس هو منهج برغسون، فهو حسب جيل دولوز « **ليس عاطفةً ولا إلهاماً، أو انجذاباً مشوشاً، بل هو منهج مُعَدّ، وحتى أحد مناهج الفلسفة الأكثر إعداداً. له قواعده الصارمة، التي تشكل ما يسميه برغسون (الزمان) في الفلسفة**»[2]. ومعنى هذا أن مفهوم برغسون للحدس يتجاوز أو يتعارض مع التعريف الشائع لمفهوم الحدس على أنه الإدراك المباشر للأشياء دون توسطات، فثمة قواعد تحكم المنهج البرغسوني .

1- هنري برغسون: **بحث في المعطيات المباشرة للشعور**، ترجمة، الحسين الزاوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2009، ص11.

2- جيل دولوز: **البرغسونية**، ترجمة أسامة الحاج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط1، 1997، ص5.

ولقد ظهر المنهج الحدسي عند برغسون انعكاسا لمسار فلسفته النقدية وهذا ما يظهر في كتابه "**التطور الخلاّق**" الذي يرسم فيه مسارين مسار التطور البشري وأساسه العقل، ومسار التطور الحيواني وأساسه الغريزة فبدأ بنقض العقل وذلك أن الحياة كانت في الظهور أوسع من المعرفة وهذا ما يصرح به برغسون في كتابه "**الطاقة الروحية**" في قوله: « **إن التفكير المبكر، السابق لأوانه الذي يقوم به العقل على ذاته يثبطه عن التقدم في حين أن التقدم الخالص البسيط يقربنا من الهدف ويرينا فوق ذلك أن العقبات التي أشير إليها هي في معظمها مفاعيل سرابية**»[1]، فالإنسان يضع أوهاما كأوهام فرانسيس بيكون (أوهام السوق، وأوهام المسرح، أوهام القبيلة، وأوهام الكهف).

ومن خلال ما تقدم أن الحدس عند برغسون يختلط بعدة معان، فهو يختلف حسب تصوره من مكان لآخر، أو من وضع لآخر حسب الحاجة التي تقتضيه.

وهو عبارة عن تجربة باطنية تفعل فيه الذات دورا مهما، وهذا ما يوضحه برغسون من خلال التعاطف الذي تصنعه الذات مع الحياة، فيبرز دور الحرية من أجل تكريس القيم الإنسانية، وعليه فدور الحدس عند برغسون يتضح في النقاط الآتية:

1- التوفيق بين معرفتنا الماضية والحاضرة لبناء مستقبل أفضل.

1- برغسون: **الطاقة الروحية**، ترجمة علي مقلد، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ببيروت، 1991، ص6.

2- التمييز بين الواقعي وغير الواقعي عن طريق التفريق بين الحي وغير الحي بين العضوي واللا عضوي.

3- التحرر من الأوهام ومغالطات العقل التصوري*.

4- المحافظة على خصوصية الشيء المدروس، ومعناه دراسة العلوم المعيارية بطابعها الخاص بها، والذي يأخذ سمة الكيفي المعنوي، ولا يدرسها بطابع كمي الذي يقتضي المحافظة على القيم.

5- التوفيق بين ما هو كائن وما سيكون.

6- الكشف عن المطلق والخلق والإبداع[1].

إن النص السابق لبرغسون ينظر إلى المعرفة المتأتية عن طريق نظرة تشكيك في كونها تمثل المعرفة الحقة وهذا بينه أكثر من خلاله مقارنته بين المعرفة الحدسية والمعرفة العقلية.

أ/العقل والحدس:

اهتمت الفلسفة على امتداد تاريخها بالعقل ونظر العقليون على وجه الخصوص على أن العقل أداة المعرفة الموثوق فيها، لكن موقف برغسون من العقل اتسم بالتميز والاختلاف؛ فقد جعل هذا العقل محل نقد لا على الطريقة الكانطية ولكن من خلال التمييز بين دائرتين أساسيتين أو ثنائيتين، هما ثنائية المادة في مقابل الروح، والعقل عند برغسون هو نتاج تطور الحياة، وحلقة من

* العقل التصوري: العقل الأداتي حيث سيطرت الأداة على الفهم.

1- نورة بوحناش: **إشكالية القيم في فلسفة برغسون**، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، الجزائر، ص 120، 123.

حلقاتها أوجدته في سلسلة التطور ليكون أداة تكيف مع البيئة، وهو بهذا المعنى أداة فعل وعمل، يقول برغسون:« **إن تاريخ تطور الحياة وإن كان لا يزال ناقصا، إلا أنه يبين لنا كيف تكّون العقل بتقدمه المستمر على طريق صاعد يمر بسلسلة الحيوانات الفقرية حتى يصل إلى الإنسان، ويبين لنا أيضا أن ملكة الفهم تابعة لملكة العمل**»[1].وعليه فلا يمكن العقل أن يكون أداة معرفة أو تجريد أو معرفة الحياة فـ« **تفكيرنا في صورته المنطقية عاجز عن تصور طبيعة الحياة، وعن ادراك المغزى العميق لحركة التطور**»[2].

كما يقصد برغسون بالعقل والحدس المعرفة العلمية في مقابل المعرفة الميتافيزيقية، ومن أبرز الاختلافات الموجودة بنيهما يذكر برغسون ما يلي:

دائرة العلم وحدد مجالها بالكم والامتداد والمكان « **فالعلم يعمل أولاً وقبل كل شيء في نطاق الرموز، وحتى إذا تطلعنا إلى أكثر العلوم الطبيعية بعداً عن التجريد ألا وهي علوم الحياة، فإننا نجد أنها تختص بالصورة المرئية للكائنات الحية**»[(3)]. في المقابل دائرة الفلسفة أو الحدس وهي تهتم بالكيف والشدة والزمان.

1- هنري برغسون: **التطور المبدع**، ترجمة جميل صليبا، اللجنة اللبنانية للترجمة، بيروت ـ لبنان، 1981، ص1.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 – العربي ميلود: **المنهج في الفلسفة وإمكانية التجاوز البرغسوني**، مقال منشور في مجلة الكلمة نت، في شبكة الأنترنت http://www.kalema.net/v1.

إن العلم موضوعه المادة ومنهجه التجربة الحسية، أما الفلسفة « **فموضوعها الروح ومنهجها التجربة الباطنية والروحية ومصدرها الحدس الذي أساسه التعاطف (sympathie) الروحي أو الغريزة السامية**»[1].

ومعنى هذا أن المعرفة الموثوق فيها ليست هي المعرفة العقلية أو العلمية وإنما هي المعرفة الحدسية، ومن خلال نقد برغسون للعقل، انتهى إلى مايلي:

لقد تكون العقل غرار المادة الجامدة، لأنه نتاج تطور الحياة، فهو أداة عمل عاجزة عن الإحاطة بالحقيقة الواقعية التي تتميز بالكيف والخلق،

لا مشروعية التفكير بواسطة العقل في الكيف واللاتجانس لأنه وطبقا لمهمته أداة تشيء تتعامل مع الشعور تعاملها مع المادة

حيث أن العقل اداة تكيف مع الطبيعة تقوم على منطق تشيئ الكيف فلا معنى أن يعتمد ليكون الأداة الفاصلة في كل موضوعات المعرفة[2].

وما تجدر الإشارة إليه أن برغسون يشير في مؤلفه (الفكر والمتحرك) إلى أنه يمكن أن يكون العلم ميتافيزيقا المادة، ويمكن أن تكون الميتافيزيقا علم الروح لاعتمادها على المنهج الحدسي، وهذا ما يتضح في قوله: « **فإذا كانت ثمة وسيلة تمكننا من إدراك الواقع إدراكا مطلقا بدلا من أن نعرفه معرفة نسبية وسيلة تمكننا من وضع أنفسنا في الواقع بدلا من النظر إليه من**

---

[1] – العربي ميلود: **المنهج في الفلسفة وإمكانية التجاوز البرغسوني**، مرجع سابق.

[2] – نورة بوحناش: **إشكالية القيم في فلسفة برغسون**، مرجع سابق، ص101.

جهات مختلفة، وسيلة تتيح لنا أن نحدس الواقع حدسا بدلا من أن نحلله تحليلا، أي تتيح لنا أن ندركه إدراكا مستقلا عن أي تعبير أو ترجمة أو تمثيل رمزي فإن الميتافيزيقا هي هذا نفسه»[1].

وبتطبيق المنهج الحدسي والتأملي وهما المنهجين القريبين للفلسفة على وجه الإطلاق فالاتجاه لنقد العقل وهذا ما يظهر في إجابته على تحليله لنظرية الحياة « **لو كان الأمر كذلك لما استطعنا أن نجاوز نطاق العقل لأننا، لا ندرك في هذه الحالة صور الشعور الأخرى إلا بعقولنا ومن خلال عقولنا. فنقول في الإجابة عن ذلك: لا يصدق هذا القول إلا إذا كنا عقولا خاصة لم يبقى حول تفكيرنا النظري والمنطقي شيء من السديم الغامض المؤلف من الجوهر الذي تكونت على حسابه تلك النواة المضيئة التي نطلق عليها اسم العقل. هناك إذن محل لبعض القوى المتممة للعقل، وهي قوى لا نشعر بها إلا شعورا غامضا عند انغلاقنا وانطوائنا على أنفسنا**»[2]. وهذه القوى لا يكتسبها إلا الفيلسوف الذي تمكن من دراسة الفلسفة دراسة عميقة وأصبح قادرا على إخراجها إلى الظواهر وتدرس دراسة حياتية قوية.

ولا يمكن استعاب المنهج الحدسي عند برغسون بشكل صحيح بعيدا عن مفهوم الديمومة الذي هو سابق عليها ومحدد لها في اللحظة نفسها.

---

1 – HENRI BERGSON;LA PENSEE LE MOVANT"P.U.F91 EDITION .1985.P179.

2- برغسون: **التطور المبدع**، مصدر سابق، 4.

ب/ الحدس والديمومة

تعد الميتافيزيقا المجال الحيوي لما يسمى بالمنهج الحدسي هذا الأخير الذي يعتبر الأساس الفلسفي للمعرفة الميتافيزيقية ارتبط ظهوره بالديمومة. ولقد ارتبط ظهور الحدس عند برغسون بالزمان أي بالديمومة وهذا ما جاء في كتاب جول دولز في رسالة كتبها هو فدينغ « **إن نظرية الحدس التي تشدد عليها أكثر بكثير مما على نظرية الزمان لم يظهر لي إلا بعد هذه الأخيرة بزمن طويل**»[1].

والديمومة **كما جاء في تعريف جميل صليبا، هي:«هي الزمان فإذا أطلقت على الزمان المحدود سميت مدة وإذا أطلقت على الزمان الطويل الأمد، الممدود سميت دهرا»**[2].

و لكن الديمومة عند برغسون عبارة عن شعور أو حياة شعورية مليئة بالتجارب الشعورية لانقطاع فيها بين الأول والآخر أي تيار متدفق من الزمان لا يقاس كالزمان الرياضي بل هو ذو طابع كيفي باطني مليء بالتجارب الباطنية. أما الديمومة عند برغسون فهي « **تقدم مستمر لماضي يفرض المستقبل ويتضخم بتقدمه إلى الأمام**»[3]. إنها تيار متصل دائم التدفق.

1- نقلا عن جول دولز: **البرغسونية**، مرجع سابق، ص 6.

2- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، مادة: **الديمومة**، ص 571.

3- برغسون: **التطور المبدع**، مصدر سابق، ص 10.

معنى ذلك أن الديمومة تعبر عن الحالات النفسية المرتبطة بالزمان إذ تفترض وجود ارتباط بين أجزائها ماضي وحاضر ومستقبل، ماضي يرتبط بالحاضر هذا الارتباط بينهما من أجل بناء مستقبل أفضل فنحن في كثير من الأحيان تواجهنا صعوبات وكذلك الأمة في تطورها، فوجب الرجوع للماضي لاستخلاص منه العبر لبناء مستقبل أفضل وهذا يدل على صميم الديمومة إنما يستوجب وجود الإنسان الفاعل، وبتطبيق المنطق الصوري:

- الديمومة هي الزمان
- الزمان هو الوجود.

فهناك ارتباط وثيق بين الحدس والديمومة فلا يمكن فهم الحدس إلا بالديمومة فهو مستغرق فيها ودائرة الديمومة أوسع من دائرة الحدس.

وفي إطاره تأكيده على حقيقة الديمومة، يفرق برغسون بين نوعين من الزمان: زمن خاص بالجسم المتحرك في وسط متجانس وهو زمن المكان الخارجي وهو زمن من العلم. وفي إطار بيان الفرق بين الزمن الفيزيائي والزمن السيكولوجي، حاول برغسون أن ينقد فكرة تمكين الزمن أي خلع صفة المكان عن الزمان التي تتجلى في العلوم الفيزيائية والميكانيكية وحتى عند أصحاب التطور زمن غير متصل[1].

والزمن الثاني هو الزمن الشعوري وهو باطني يعرف بزمن الديمومة، وهذا الأخير زمن نحياه ونحس به في داخلنا، فيه جدة باستمرار بحيث لا يقبل

[1] – توفيق الشريف: **برغسون وفلسفة الحياة**، دون طبعة، المنشورات للإنتاج والتوزيع، تونس، 1993، ص 10.

الإعـادة والتكـرار، وهـذا معنـاه انـه لا توجـد فـي الديمومـة لحظـة تعـوض لحظـة أخـرى ولكـن هنـاك تطـور مسـتمر للماضـي الـذي يهيـئ المسـتقبل ويحمسـه علـى التقدم.

زمـن برغسـون هـو زمـن الأنـا و الأنـا هـي الامتـداد الـذي يعقلـه، وفـي الامتـداد معنـاه إيجـابي يجعـل مـن الحيـاة سـعيدة وهادئـة لأن الامتـداد يعنـي صراحة الزمن الحقيقي.

وبهـذا فـإن زمـن برغسـون يختلـف عـن الـزمن الـذي نتحـدث عنـه فـي علـم الفلـك والرياضـيات وسـائر العلـوم الأخـرى لكونـه خـاص بالشـعور ومعطياتـه وحالاتـه، وهـو زمـن لا أثـر فيـه للمكـان وهـذا مـا حـذا بـبعض مـؤرخي الفلسـفة إلـى اعتبار برغسون فيلسوف الديمومة.

ومـن هـذا المنطلـق نقـول أن البحـث فـي الـزمن والديمومـة لـدى برغسـون يمثـل محـورا رئيسـا فـي فلسـفته، إذ تشـد إليـه كـل المحـاور الأخـرى، وعـن طريقـه تتحـد كـل المفـاهيم حيـث لا يمكـن فهـم الحـدس كمصـدر للمعرفـة إلا بـالرجوع إلـى البداية التي انطلق منها وهي الديمومة.

والـزمن فـي العلـم وعنـد الفلسـفة التطوريـة لـيس متصـلا بـل متقطـع متجـانس، لـه نسـق واحـد سـاكن وصـلب كالمكـان وهـو زمـن طـولي عكـس زمـن الاختـراع الـذي يعـد الميـزة الأساسـية للحيـاة، ومـع هـذا فـإن الفلسـفة التطوريـة متـى أرادت تفسـير أمـور الحيـاة فإنهـا لا تتـردد فـي أن تطبـق عليهـا أسـاليب التفسـير التـي تصادف نجاحا فيما يتصل بالمادة الجامدة[1].

[1] – هنري برغسون: **التطور المبدع**، مصدر سابق، ص 2.

ويعجز العلم عن إدراكه زمن الاختراع لأن طريقة العلم وأداته والعقل سينمائية لا تدرك الصيرورة والحياة غلا لحظات متقطعة فتكون بذلك طريقة آلية تجزء الديمومة.

إن الديمومة عبارة عن زمان وجودي هذا الوجود يحاول أن يثبت ذاته عبرها، وتوجد الكثير من الأمثلة والوقائع التاريخية التي تجسد الديمومة في مفهومها الفلسفي عند برغسون، ومثالها استثمار البطل البربري طارق بن زياد حيثيات ونتائج غزوة بدر في فتح الأندلس، فالتاريخ يعيد نفسه إذا استطاع البطل الاعتماد على فئة قليلة بتسلحه بالإيمان والصبر لفتح الأندلس منطلقا في ذلك من حيثيات غزوة بدر الكبرى 2هـ واستثماره صلى الله عليه وسلم لفئة قليلة من الصحابة اتسمت بصدق إيمانها وصبرها عند اللقاء.

والديمومة إنما هي في الأصل عبارة عن تجربة حدسية ترتبط ارتباطا وثيقا بعدة كيفيات أو موضوعات كيفية كالأخلاق والجمال والدين، فهذه المجالات في معظمها إنما هي عبارة عن تجارب حدسية تلعب فيها الذات دورا للتعاطف، أي تلعب الدور الأساسي لما يسمى بالفعل الحادث في الديمومة، « **والميزة الأكثر فرادة في فلسفة الديمومة البرغسونية هو صبغتها الروحانية الخلاقة، التي تدعمها الصبغة الحيوية والأتيقية لتجعل منها حقيقة زمانية سيكولوجية معيشة**»[1].

1 – طيرشي كمال: **الفلسفة الروحانية عند هنري برغسون**، مجلة مقاربات فلسفية، العدد4، ديسمبر، 2014، الجزائر، ص133.

إن الديمومة من خلال هذا النص تظهر في ثلاث صيغ، تبدأ بالطابع الذاتي محاولة إثبات ذاتها وفقا لمسار الزمان، وهو ما شرحناه سابقا قبل النص. والطابع الحيوي: وفيه تخرج الذات من الطابع الشعوري والمجال الضيق إلى الطابع الإبداعي والتغيري كما تتجلى بما يسمى بالفلسفة الروحانية عند برغسون.

هذه الروح التي تبعث عن الطمأنينة والثقة وحب الاطلاع، ولقد أفرد برغسون كتابا يحلل فيه أهمية الروح والطاقة في كتاب الطاقة الروحية الذي يرى فيه بأن:

« **نراه إلا أننا لا نستطيع ولا يجب أن نلتفت إلى الوراء ولا يجب ذلك علينا لأن مصيرنا أن نعيش، وأن نتصرف، وأن الحياة وأن العمل يتطلعان إلى الأمام**»[1].وهنا يبرز دور الوعي في الديمومة، فالديمومة الحقة أساسها الوعي وعيا بأن ماضينا محفوظ في الذاكرة، وأنه علينا استشرافه لبناء مستقبل أفضل هذا ناتج عن وعي الذات بالحياة والعمل يبحثان على خلق روح الابداع في جميع المجالات، خاصة في مجال الفن والأخلاق وهو ما سوف نتطرق إليه بإسهاب في الفصل الثاني من بحثنا هذا.

أما الصيغة الثالثة: للديمومة عند برغسون هي الصيغة الأتيقية، وهي عبارة عن جمع بين الطابع الأول والثاني أي الطابع الروحي والطابع الحيوي، ومجاله الأخلاق والقيم خاصة.

---

1 – برغسون: **الطاقة الروحية**، مرجع سابق، ص 71.

وما يمكن استخلاصه أن للديمومة عند برغسون عدة خصائص ومميزات وأهمها:

1- تتصف بالطابع الكيفي: فهي تدرس العلوم الكيفية وليست ذات طابع كمي.

2- الاتصال: ويعني أن حالاتها ومراحلها يتصل فيها الأول بالآخر، فهي ذات اتصال يرتبط فيها الماضي بالحاضر والمستقبل.

3- التغير: من خصائص الديمومة كما يرى برغسون التغير.

4- الزمن: فالزمان في الديمومة عكس الزمن الرياضي الذي يمتاز بالانقطاع وجعله ذو طابع مكاني، وهذا ما عارضه برغسون في كتابه المعطيات المباشرة للشعور ظاهرة تمكين الزمان أي جعل الزمان محتوى في المكان ومقولة الزمان والمكان من الأفكار القبلية، يولد الانسان مزودا بها فالزمان يتصف بالامتداد والاتصال والتغير ومجاله القيم الروحية عكس المكان الذي يتصف بالثبات والسكون، ومجاله العلم إلا أن برغسون نادى بالفعل التام بين الزمان وذلك بغية دراسته في مجال الميتافيزيقا وخاصة المنهج الحدسي.

كما أن دور الحدس في الديمومة يظهر في إدراك الذات لذاتها وحسب برغسون ليس ثمة ريب في أن وجودنا الذاتي هو الوجود الذي نراه أكيد إلى أكبر حد والذي نعرفه على أكمل وجه، وذلك لأنه من الممكن أن نحكم على جميع معاني الأشياء الأخرى التي نكونها لأنفسنا بأنها معاني خارجية وسطحية في حين أننا ندرك أنفسنا إدراكا داخليا وعميقا[1].

1- برغسون: **التطور المبدع**، مصدر سابق، ص 7.

ودور الحدس في الفعل الحادث في الديمومة هو تعزيز الفعل المعرفي وتعزيز من دور الذات في تعاملها مع الموضوع محل المعرفة وذلك من خلال التعاطف مع الأفكار لدراستها دراسة شعورية وهو ما حدث في فلسفة القصد عند هوسرل حيث يعزز من دور الشعور في عملية المعرفة، ويرى بان الذات في تعاطفها مع لحظات الشعور تسهل من فهم الموضوع وهذا ما نجده عند برغسون فالوجود الحقيقي القائم على التعاطف مع ذواتنا في المنهج الحدسي إنما يكشف الباطن ويتعمق في فهم الأفكار.

ثانيا: الحدس وقواعد توجيه التفكير عند برغسون

في معرض الحديث عن الحدس ومسألة البحث عن الحقيقة يمكن طرح السؤال الآتي: هل يبحث الحدس عن الحقيقة؟

وإذا كان الحدس هو منهج برغسون، فهو حسب جيل دولوز « **ليس عاطفةً ولا إلهاماً، أو انجذاباً مشوشاً، بل هو منهج مُعَدّ، وحتى أحد مناهج الفلسفة الأكثر إعداداً. له قواعده الصارمة، التي تشكل ما يسميه برغسون (الزمان) في الفلسفة**»[1]. ومعنى هذا أن مفهوم برغسون للحدس يتجاوز أو يتعارض مع التعريف الشائع لمفهوم الحدس على أنه الإدراك المباشر للأشياء دون توسطات، فثمة قواعد تحكم المنهج البرغسوني . ظهر المنهج الحدسي عند برغسون انعكاسا لمسار فلسفته النقدية.

و الحدس بوصفه منهجا عند برغسون يضاهي في "دقّته" وفي "وضوحه وتميّزه" المنهج الديكارتي فإن كان ديكارت قد سنّ قواعد المنهج لتوجيه الفكر في البحث عن الحقيقة، فإنّ برغسون بدوره يجعل من الحدس تجربة البحث عن الحقيقةالحية لذلك اعتبرت مادلين بارتلمي مادول **M. Barthélemy-Madaule** في كتابها عن برغسون(1967) المقدّمة الأولى من كتاب (التفكير والمتحرّك) لبرغسون بمثابة حديث في المنهج[2] ، على شاكلة حديث الطريقة الديكارتي.

([1]) جيل دولوز: **البرغسونية**، مرجع سابق، ص5

[2] فوزية ضيف الله : **ما معنى أن يكون الحدس عند برغسون منهجًا للتفكير؟ المنشور في شبكة الواب، موقع مؤسسة، مؤمنون بلاحدود** ***http://www.mominoun.com/articles***

و يصوغ جيل دولوز المنهج البرغسوني في ثلاث قواعد تتأتى من خلال أفعال ثلاث يقدمها برغسون كأفعال للحدس، تتعلق بطرح المشكلات وخلقها؛ والثاني باكتشاف الاختلافات الحقيقية بينها في الطبيعة، والثالث إدراك الزمان الحقيقي[1] وتتمثل هذه القواعد في[2]:

أ/ القاعدة الأولى: الحدس هو الذي يبتدع المشكل الحق

أولى هذه القواعد المنهجية تتطلب ضبطاً سليماً وتحديداً دقيقاً لمشكلاتنا المنتسبة إلى الوجود العام والخاص، مع تحديد علاقة التأثير والتأثر بين الإنسان والطبيعة، أو بتعبير أشمل بين الذات والموضوع؛ إذ إن أغلب المشكلات التي تعودنا طرحها تحمل في تركيبتها العديد من التناقضات، يقول دولوز عن هذه القاعدة:« **نقل امتحان الصحيح والخطأ إلى المشكلات بحد ذاتها، وكشف المشكلات الزائفة، والمصالحة بين الحقيقة والخلق على مستوى المشكلات**»[3].

ومن القواعد المكملة لهذه القاعدة يذكر دولوز القاعدة الآتية: « **المشاكلات الزائقة نوعان، مشكلات غير موجودة تتحدد بكون عناصرها**

([1]) جيل دولوز: **البرغسونية**، مرجع سابق، ص 5

([2]) اعتمدت في صياغة هذه القواعد على مقال، فوزية ضيف الله : **ما معنى أن يكون الحدس عند برغسون منهجًا للتفكير؟ مرجع سابق.**

([3]) جيل دولوز: **البرغسونية**، مرجع سابق، ص8.

بالذات إنما تستبع خلطا بين الـ "مع"و الـ "إلا"؛ ومشكلات أسيئ طرحها تتحدد في كون عناصرها تمثل خلائط محللة بشكل سيئ»[1].

ويتحدّد شرط إمكان هذه القاعدة(الأولى) في النقاط التالية:

- إنّ اختبار المشاكل من جهة صحّتها أو خطئها ينبغي أن يحمل داخل المشاكل نفسها،
- إنّ ابتداع المشاكل لا يكون إلاّ بعد اضمحلال المشاكل الخاطئة وتبدّدها، بيد أنّ ابتداع المشاكل يقتضي قدرًا من **الحرية** أي تجاوزًا للقصد التعليمي الذي يقصد تعيين المطلوب الأقصى للسؤال تحصيل اليقين البرهاني.

إنّ ابتداع المشاكل لا يعني **اكتشافها« لأن الاكتشاف يحمل على ما يوجد على نحو مسبق فهو آت لا محالة. أمّا الابتداع فإنّه لا يحمل على المشاكل الموجودة بقدر ما هو خلق (création) لها أي إعطاؤها الوجود بعد أن كانت معدومة»**[2] إننا نكتشف الحلّ لكنّنا نبتدع المشكل، بيد أنّنا لا نكتشف الحلّ إلاّ إذا تعهّدنا بابتداع المشكل.

بـ/ القاعدة الثانية: الحدس هو مبدأ التفريق بين الأشياء

ثاني قواعد المنهج الحدسي البرغسوني يتمثل في اكتشاف الاختلافات الحقيقية في الطبيعة، بين عالمي الزمان والمكان، لما لهما من تداخلات عدة

---

(1) جيل دولوز: **البرغسونية**، مرجع سابق، ص10.

(2) المرجع نفسه، ص 5

تجعلنا في الكثير من الأحيان نخلط بينهما، أي بين ما هو مدة وما هو امتداد، بين ما هو تعددي كيفي وعددي كمي، بين ما ثابت وما هو متحرك... إلخ. وتتحدّد حسب دولوز، مهمّة الحدس من خلال هذه القاعدة « **في الصراع ضد الوهم، العثور على الاختلافات الحقيقية في الطبيعة أو تمفصلات الواقع** »[1]. ولهذه القاعدة وظيفة مخصوصة هي أن تبين كيف أن مشكلة ما، لما كانت مطروحة بشكل جيد، تنزع بذاتها على حل ذاتها.

ج/ القاعدة الثالثة: الحدس يقتضي التفكير بالزّمان

ثالث قواعد المنهج الحدسي البرغسوني، تعني « **طرح المشكلات وحلها، تبعا للزمن لا للحيز**». وهذه القاعدة تعطي المعنى الأساسي للحدس يقول برغسون:« **هناك معنى أساسي، أن تفكر حدسيًّا هو أن تفكر في الزمان المستمر**»[2]. فالحدس كما يفهمه برغسون منهجيا، يفترض الزمان أو الديمومة، يقول **برغسون**: «**فالحدس مرتبط بديمومة، هي في تزايد ندرك فيه استمرار، غير منقطع، لجدة لا يمكن التنبؤ بها**»[3].

تقتضي هذه القاعدة إذن الجمع بين النظريتين الأساسيتين داخل فلسفة برغسون وهما نظرية الحدس ونظرية الدّيمومة؛ فإذا كان الحدس يقتضي التفكير في الزمان فإنّ ذلك يعني على نحو أوليّ أنّ طرح المشاكل وحلّها لا يكون إلاّ في علاقتها بالزّمان ولا بالمكان، أي انطلاقًا من نظريّة

1- جيل دولوز: **البرغسونية**، مرجع سابق، ص5

2- المرجع نفسه الصفحة نفسها

3- المرجع نفسه الصفحة نفسها

الديمومة؛ و يقتضي تحديد الديمومة بماهي حالات مختلفة ومتعدّدة، متحرّكة ومتحوّلة لكنّها تعبّر عن وحدة متصّلة ونوعيّة إلى تعيّن الديمومة حقلاً للتنوّع الكيفيّ أي إلى كونها تمثل فروقًا في الطبيعة، خاصّة إذا تبيّن أنّه لا وجود إطلاقًا للحظتين متماهيتين داخل الديمومة، لذلك ينبغي التفريق بينها وبين المكان الذي لا يحمل إلاّ فروقًا في الدرجة نظرًا لكونه يمثل حقلاً متجانسًا كميًّا.[1]

ولئن تعدّدت الدّيمومات فإنّ الحدس من جهة ما هو تفكير في الديمومة يظلّ هو هو. لكنّ الديمومة إذا فصلت عن الحدس من جهة ما هو منهج، صارت مجرّد تجربة سيكولوجية، كذلك فإنّ الحدس إذا لم يلتحم بالديمومة، فإنّه لن يكون قادرًا على تحقيق البرنامج الذي يتوافق مع القواعد السابقة.

1- فوزية ضيف الله : **ما معنى أن يكون الحدس عند برغسون منهجًا للتفكير؟ مرجع سابق.**

الفصل الثالث

الحدس في مجـــــال القيم

أولا: الحدس والقيم الخلقية

أ/ الأخلاق المغلقة

ب/ الأخلاق المفتوحة

ثانيا: الحدس والقيم الجمال

أ/ الجمال كمظهر حدسي من مظاهر الوجود

ب / تلازمية الحدس والفن

أولا: الحدس والقيم الخلقية

باعتبار برغسون واحد من الفلاسفة الذين أولوا أهمية بالغة للحدس خاصة في علاقته بالأخلاق والجمال ، فإن السؤال الذي يطرح: ماذا يقصد بالأخلاق عامة، وكيف تجلى المنهج الحدسي عند برغسون؟

ويعد كتاب منبعا الأخلاق والدين لبرغسون من بين المؤلفات التي ناقش فيها الأخلاق بوجهها الآخر، أي تجاوز من سؤال المعرفة في القيم إلى سؤال القيم الأخلاقية في حد ذاتها، من خلال تطبيق المنهج الحدسي.

ويرى جل الباحثين بأن كلمة منبعا عند برغسون يقصد بها الحدس والغريزة، إلا أن الحدس في كتابه يظهر في بادئ الأمر ضعيفا، فهو عبارة عن انفعال فقط، غير أن هذا الانفعال يؤسس بدوره إلى أخلاق جديدة التي تؤسس بدورها إلى تقسيم الأخلاق عند برغسون إلى نوعين وهذا ما يوضحه بقوله <<**والأثر العبقري في الأدب والفن إنما هو نتاج انفعال فريد في نوعه ظن انه لا يعبر عنه ...افليس الأمر كذلك في كل اثر ينطوي على نصيب من الإبداع مهما يعتري هذا الأثر من نقص ؟ كل من أقدم على العمل الأدبي فقد عرف ما هنالك من فرق بين العقل الصرف وبين العقل الذي يحرق انفعالا أصيلا فريدا ناشئ عن اتحاد المؤلف بموضوعه اي ناشئ عن حدس**>>[1]

وهذا الإبداع يحتاج إلى تحويل الانتباه لدى الفرد إلى اهتمام هذا الأخير بدوره يثير الانفعال الذي من خلاله يدفع الفرد إلى الإبداع والتطور، وهذا الإبداع إنما هو

1- هنري برغسون: **منبعا الاخلاق** والدين، ترجمة سالم الداروبني وعبد الله بن الدائم، الهيئة العامة للتأليف والنشر، دد، دط، 1971، ص 53.

حدس يكون في المرحلة الأولى ضعيفا وخفيفا يحتاج إلى مثير أقوى أو هزة قوية أو ما يصطلح عليه بالتعاطف عند برغسون. هذا التعاطف يأتي في لوحة درامية أو في صورة فنية تتفعل فيها الذات مع اللوحة الفنية لدراسة الأفكار الموجودة فيها وتعيش لحظة الديمومة الحقة فالذات في اندماجها مع لوحة أو قطعة موسيقية تكون قد رسمت لحظة من لحظات الزمن المعيش أو ما يسمى بالديمومة.

كما أن للانفعال مجال كبير في تأسيس المذاهب الأخلاقية وهو يختلف حسب الدرجات فإذا كان الانفعال ضعيف فقد أسسا بما يسمى بأخلاق العاطفة وهذا ما نجده عند نيتشه التي يصطلح عليها أخلاق الخضوع والسكون و التهاوي وهي أخلاق العبيد وأخلاق السادة والتي يستند إلى تطور القيم الأخلاقية نابعة من حياة فياضة ومتشبعة بالقوة، فنيتشه يؤسس ما يسمى بأخلاق القوة لا العاطفة والعقل.

كما أنه يميز بين الإنسان خالق القيم التي تنعش الحياة وتقتضيها إرادة القوة وهذا ما يظهر في قوله: « **فأخلاق العبيد تحتاج دائما وقبل كل شيء إلى عالم مواجه لها وخارج عنها لكي تولد ... كناية عن رد فعل ويحصل العكس عندما يتعلق الأمر بتقدير القيم عند الأسياد فالتقدير هنا يفعل وينمو بعفوية ومفهومه السلبي المنحط والمبتذل السيئ ليس سوى مفارقة باهتة ولدت ف فترة لاحقة بالمقارنة مع مفهومه الأساسي الذي يضج حياة وهوى هذا المفهوم الذي يؤكد نحن الأرستقراطيين نحن الأخيار الجميلين السعداء**»[1].

1- فريدريك نيتشه: **أصل الأخلاق وفصلها**، ترجمة حس قبس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1971، ص 33.

هكذا إذاً يتضح لنا المفهوم الأول اللطيف فكلمة الطيب هنا تدل على السيد أولا أما الخبيث فهو النتيجة المنطقية لمفهوم السيد وتشير إلى العبد حيث أي شكل من أشكال النفي والسلب والرداءة والتعاسة يبدو وكأن الأمل يتعلق هنا بقياس أرسطي: أنا طيب، إذا أنت خبيث، يتضمن السبب ونتيجة مباشرة بحيث يصبح ذلك السبب أي الطيب في نظر الأسياد لا يعني سوى الخلاصة النافعة وأن هذه الخلاصة تتبع كل الآثار الإيجابية بعد ذلك، فكل ما هو إيجابي موجود بالنسبة للسيد في المقدمات المنطقية تلزمه مقدمات الفصل والإثبات والاستمتاع بهذه المقدمات نخلص إلى شيء ناف ليس الشيء الجوهري.

ولا هو بمهم إطلاقا، ليس أكثر من مكمل أو تلوين إضافي[1].

وتتسم أخلاق الشفقة عند نيتشه بـ:

1- إنها ثقافة تؤدي حياة آجلة تنسي البشر حياتهم الحقة.

2- تؤكد خلود النفس ومحاسبتها وهنا نجد لعملية الانتقام الخيالية مسوغها ومبررها.

تؤكد خلود النفس ومحاسبتها وهنا نجد لعملية الانتقام.

- تؤكد عقيدة الخطيئة الصادرة عن إرادة حرية والحرية وهم زائل.
- تأمل بالتفكير عن طريق الصبر والتسليم والطاعة.

وفي مقابل أخلاق الشفقة توجد هناك أخلاق أخرى وهي أخلاق الزهد:

1- عند الفلاسفة والعلماء تعني غريزة تلمس شروط ملائمة للروحانية العليا.

1- جول دولوز: **نيتشه والفلسفة**، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، ط1، 1993، ص 153.

2- بالنسبة للنساء فهي فتنة مغرية تضاف إلى غيرها.

3- وعند الضعفاء سلاح ضد الألم البطيء.

4- وعند الكهنة أداة نفوذ مفضلة ورخصة وصول إلى السلطة.

5- أما بالنسبة للقديس فهي ذريعة للنوم الشتائي راحتهم في العدم (الله)[1].

وتنقسم الأخلاق حسب برغسون إلى الأخلاق المغلقة والاخلاق المفتوحة:

أ/ الأخلاق المغلقة:

وهي أخلاق حبيسة ذاتها تشبه أخلاق المجتمع لدى دوركايم، والهون والانكسار كما هو الحال عند نيتشه، وهي ضعيفة تأخذ طابع القصر والقهر والإلزام، حبيسة الذات والواجب في هذه الحالة عبارة عن الزامات أخلاقية تأخذ طابع الخضوع ومصدرها قفل الحياة ومنبعها إلزام الذي يفرضه المجتمع وهي قيم ثابتة لا تتغير غرضها الحفاظ على الكيان المجتمع ولبدة العقل أخلاق ثبات وتنعدم فيها الحرية، وهي أخلاق اتباع وتقليد وعرف أخلاق مادية وهي حسب دوركايم عبارة عن أخلاق تمثل الواجب الخانق والتي تعني الوعي في درجاته الضعيفة القابلة للكسر في أي لحظة وليست هناك واجبات بدون انضباط ولا نفوذ والنفوذ الوحيد الذي تخضع له الأخلاق هو سلطة التي يتقلدها المجتمع وهي سلطة قاهرة وهذا ما عبر عنه برغسون بوضوح في قوله: "أما أن نصف الأخلاق هو واجبات يفسر الإلزام فيها بضغط المجتمع على الفرد فهذا ما يوافق عليه في غير مشقة كبيرة لأننا نعاني هذه الواجبات

1- زروخي الدراجي: **المذاهب الفلسفية الكبرى**، من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، 2015، ص 174-177.

في الحياة، وقد صيغة في أوامر واضحة جلية فمن السهل أن ندركها في جزئها المرئي"[1].

ومعنى هذا بأن الواجب في الحالة الأولى أي الأخلاق المغلقة يكون متأثر بالمجتمع، فإنه يجد صعوبة في إثبات الوعي الأخلاقي وضغوطات داخل أخلاق المجتمع المنغلقة التي يكون فيها الواجب عبارة عن مقاومة الذات هنا.

أو بصفة عامة نداء يكون عبارة عن مجموعة من المكبوتات والضغوطات بين التقدم والتأخر وهذا ما أفسد الكثير من النظريات الأخلاقية التي ترى في الواجب عدة صفات الخضوع أو مقاومة الذات لذات أي طاعة الفردة للمجتمع والخضوع لأوامره خضوعا إكراهيا.

فالواجب الأخلاقي كما نادى به دوركايم عبارة عن ضغط بين الخضوع أو الخروج أو بتعبير أدق بين ضغط داخلي والتطلع الخارجي ويبقى الفرد في حياته هذه يعيش حياته بين نظر وتأمل بين العقل المحض كما هو عند كانط وبين العقل العملي وهنا يظهر الإلزام والخضوع لأوامر المجتمع.

إلا أن السؤال الذي يطرح كيف يتحول الإلزام لدى الفرد إلى الالتزام؟

لقد شهدنا كيف أن الوعي في الأخلاق المغلقة عبارة عن إلزام يفرض على الفرد إلا أننا نكون قد اقتصرنا في كلامنا هذا وتجاهلنا العديد من الأفراد العظماء الذين تحدوا هذا الإلزام وتحول عندهم إلى التزام أمثال "ولسن منديلا " الذي عرف بمقاومته وبطولته في تحرير الجنس الأسود من العبودية، وكذلك "باراك أوباما" في توليه حكم

1- هنري برغسون: **منبعا الاخلاق والدين**، مصدر سابق، ص 56.

أمريكا فهو بهذا قد حرر الجنس الأسود من الالتزامات التي كان يعيشها حيث كانوا مضطهدين من قبل المجتمع وأن الجنس الأرقى هو الجنس الأبيض فقط.

فعهدة أوباما عرفت نقلة نوعية أو نداء الأبطال أو الدافع الحيوي (الوثبة) الذي خلص المجتمع من الالتزامات المكبوتة.

وهنا يقول صلى الله عليه وسلم: "لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى وأشار إلى قلبه وقال التقوى هاهنا".

والتقوى في المجال الفلسفي تأخذ طابع العمل والالتزام.

الذي سوف نلحظه يتحول لضغط من خلال تطلع لدى برغسون إلى جذب وهذا بفضل ما يسميه بالاحترام، وهذه الصفات الخلقية هي ما يشكل محور العدالة.

و العدالة في اللغة الاستقامة والاعتدال وهو التوسط بين أمرين بين الإفراط والتفريط.

أما اصطلاحا فهي المبدأ المثالي أو الطبيعي الذي يحدد معنى الحق، دلت على المساواة والاستقامة، وإذا كانت متعلقة بالفاعل دلت على إحدى الفضائل الأصلية وهي الحكمة والشجاعة والعفة وليست العدالة جزء من الفضيلة وإنما هي الفضيلة نفسها"[1].

ومن خلال تعريف العدالة نلحظ بأنها تسعى لتحقيق الالتزام لدى الفرد وذلك من خلال التوازن في الحقوق والواجبات أو ما يطلق عليه المتتالية الهندسية والمتتالية الحسابية فكلما زادت الحقوق لدى الفرد ومطالبته بحقوقه قلت واجباته لديها، وكلما زادت الواجبات لدى الفرد قلت حقوقه، فيحلل برغسون فكرة العدالة لغيره من الفلاسفة فكل فيلسوف إنما يتناول الظواهر من عدة جوانب وكل فيلسوف تجد له نسقية في

[1]– جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، **مادة: عدل**، ص 53.

الفلسفة هذه النسقية التي تميزت بها الفلسفة الحديثة والمعاصرة في نشأتها الأولى ثم تلاشت في العصر المعاصر وعصر الحداثة.

إلا أن ما يهمنا هو أين تظهر فكرة العدالة وما هي مقوماتها؟

للعدالة مقومين أساسيين أولاهما الحق وثانيهما الواجب. الواجبات الأخلاقية هي التزام بالواجب الذي يجد مضمونه في القانون الأخلاقي الذي تؤسسه الإدارة الخيرة الحرة، والتي تعيّن ذاتها بذاتها بعيدا عن كل الدوافع الحسية والمصلحية، فنحن إذ نلتزم بالواجب فليس لأنه يحقق مصلحته أو منفعة ما وإنما لكونه واجب أي نابع من سلطة الضمير .

أما الواجب عند برغسون فيقوم على نقده للواجب الكانطي الذي يؤسس على الحجج المنطقية والعقلية لأن العقل فردي في نزعاته فهو يجعلنا نتردد في القيام بالواجب لأن ما يضفي على الواجب وقيمته وأهميته ليس محتواه الصوري بل الإكراه الممارس من قبل المجتمع الذي يحول الواجب إلى التزامات أخلاقية لكن دون أن يعني ذلك التقوقع داخل أخلاق المجتمع المنغلقة بل لابد من الانفتاح على الواجبات الكونية لأن التركيز على الكونية من شأنه أن يساهم في توطيد العلاقات السلمية بين الأفراد والمجتمع.

وكأن فلسفة برغسون في الواجب جاءت لتجمع بين أخلاق المجتمع والعقل مثاله في ذلك مثال جون رولز في كتابه نظرية العدالة حيث جاءت أفكاره في العدالة للجمع بين أخلاق المنفعة لبنتام وبين كانط وذلك بغية الوصول إلى الكونية.

فكانط يؤسس الكونية على أساس العقل وبنتام على أساس المنفعة الخاصة التي تؤدي إلى المنفعة العامة.

والواجب في هذه الحالة لا تيأس إلا باتصال كل من هذين النظريتين إلا أن ما يعاب على مذهب بنتام في الواجب أنه لا يؤسس للعدالة أي لا تؤسس للفعل العادل كما ينبغي وذلك أن الكثير مما يتعارض العدل مع المنفعة فالمذهب النفعي إنما يمزج بين ما هو نافع لأكبر عدد من الناس وبين العدل فهم لا ينظرون إلى العدل كقيمة عالمية قائمة بذاتها ولهذا لجأ الأخذ بالواجبات الاجتماعية الأخلاقية فهي تؤسس لما يسمى بالعدل كقيمة عالمية.

وفي هذا الصدد نجده يلتقي مع برغسون وهذا ما يظهر في قوله: « **انما رأت الفلسفة في العقل مبدأ للواجب لأن العقل يقوم في الواقع بوظيفة المنظم في كائن عاقل يضمن ذلك الانسجام في القواعد والمواعظ الواجبة ولعمري ما اعتقادنا هذا إلا كاعتقاد بأن الجناح في الآلة هو الذي يجعلها تدور**»[1].

والمقصود بالعقل أي الفرد مبدأ للأفعال الإنسانية الواعية التي تتجسد على شكل غايات وقيم عليا والتي تصبح نماذج نظرية تعمل على توجيه سلوكات الأفراد المتشبعين بها ولصيانة هذا الوعي يجب أن تؤسس على قواعد كونية وعقلية ثانية ومطلقة.

وما يمكن استنتاجه من خلال قوله هذا بأن يتحول الإلزام لدى الفرد وما يسميه بالعدالة المنغلقة إلى التزام وهذا في العدالة المنفتحة أو الأخلاق المنفتحة.

فالفرق بين العدالة المنغلقة والمنفتحة ليس فرق في الدرجة فقط بل فرق في الطبيعة، فالعدالة المنغلقة تكاد تكون ثابتة والتي تعبر عن التوازن الآلي في المجتمع البدائي وتتجلى من خلال مجموع الإلزام وهذا المجموع يقدمها المجتمع وهنا تتجلى

[1]– برغسون: **منبعا الأخلاق والدين**، مصدر سابق، ص 29.

بصفة مطلقة تحكم الغريزة في المجتمع وهذا المجتمع عند برغسون في تشبيهه يشبهه بقرية النمل والنحل في تماسكها، مصدرها المجتمع وهذه الأخلاق في جوهرها إنما لا تكتسي طابع الإنسانية بل حسبه الضغط.

والعدالة المنفتحة إنما مصدرها حسب برغسون يعود إلى صفة العبقرية عند الفرد والعبقرية كما جاءت في تعريف جميل صليبا: « **صفة العبقري وهي جملة من المواهب الطبيعية السامية التي تمكن صاحبها من التفوق أو إلهام سريع أو حدس قوي أو صبر طويل أو قوة خلق وإبداع**»[1].

وهنا يبرز دور الحدس في العدالة وفي أصل الأخلاق المنفتحة وهي ما تجسده التضحية والحرية والمساواة والحق في حرية الفكر كما هو الحال عند الفلسفة الرواقية إلا أن هذه الحقوق التي تنادي بها الأخلاق المنفتحة إنما هي حقوق جد سامية تكاد أن تصل إلى حد الواجب في حد ذاته.

وتعد الفلسفة الرواقية أو الأخلاق الرواقية من بين الأخلاق التي تمهد لما يسمى بالأخلاق المفتوحة عند برغسون وذلك أنها تقوم على مبدأين أساسيين هما:

أولا: المبدأ أن يكون محكوما بقانون مطلق لا يسمح بأي استثناء.

ثانيا: أن الطبيعة الجوهرية للإنسان هي العقل وكلاهما يتلخصان في الشعار الرواقي الشهير عش وفقا للطبيعة هذا المبدأ الذي وضعه أتباع زينون بينما نجد أن زينون نفسه كان قد وضع مبدأ يكاد ينطبق على هذا المبدأ وهو يجب أن تكون حياتك منسجمة مع نفسها، كان قد وضع مبدأ يكاد ينطبق على دور التجربة الأخلاقية في مجال الحدس، وعلى الفرد الذي يعيش التجربة الحدسية أن يسعى إلى ما يلي:

---

[1]– جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، **مادة : العبقرية**، ص 53.

1- التحرر من الذاكرة الإرادية للوصول إلى الذاكرة التلقائية التي تدخل وعيه في عالم جديد.

2- التحرر من السعي وراء اللذة لأنه يبقي الفرد في إطار الممارسة العلمية التي لا تتيح له الخروج من أسرار الحياة اليومية المتواضعة الأهداف.

3- البحث عن الإبداع المعبر عن جوهر الديمومة المبدعة على الدوام لأنها انبثاق لا يتوقف لما هو جديد.

4- التيقن انفعاليا من الوصول إلى الهدف وذلك من خلال الشعور بالفرح الذي وهبته لنا الطبيعة[1].

- فالفلسفة الرواقية فحواها أن العالم كل عضوي تتخلله قوة الله الفاعلة، والرواقيون يدعون إلى التناغم مع الطبيعة والصبر على المشاق والأخذ بأهداف الفضيلة لأن الفضيلة هي إرادة الله، ومن هذا المنطلق نجد لها صداها في الفكر البرغسوني.

إذ يرى بأن الأخلاق المنفتحة إنما يحصل فيها الانجذاب حيث ينجذب المجتمع لمنحى التجربة الباطنية لكل فرد من أفراد المجتمع لذلك فالوثبة من المغلق إلى المفتوح إنما هي وثبة نحو الأمام ولا يدان لها التحقيق إلا إذا عزم المجتمع أن يعاني تجربة ويقتنع بها وهذه القفزة البرغسونية إنما هي في حقانية الأمر بحث عن مفهوم الله وهذا داخل نسق صوفي، فالفلسفة الرواقية تحمل في طياتها التجربة الصوفية مثلها مثال البرغسونية وهذا ما يتجلى من خلال الوثبة الحية، فالوثبة الحية إنما هي "**دعوة أولى**

[1]- عدنان نجيب الدين: **فلسفات معاصرة**، مجلة فصيلة، العدد الأول، ط1، 2009، بيروت، ص 187.

للبحث عن مفهوم الإله في فلسفة برغسون"[1]. وهذا ما يتخذ من خلال فكرة التصوف في فكر برغسون.

بـ/ الأخلاق المفتوحة:

إن الأخلاق المفتوحة عكس الأخلاق المغلقة، ففي الأولى نلحظها تتحول الالتزام إلى جذب وذلك من خلال جملة الخصائص المتوفرة فيها والتي من بينها:

مصدرها الحياة منبعها الانجذاب تثبت مبادئها بواسطة مثال حي هي سيرة فرد بمثل أرقى صورة للتطور الروحاني خاصيتها الإبداع ومن ثم الحركة، قيم الأخلاق المفتوحة متطورة تتلاءم مع الحياة المبدعة الخلاقة لذلك فجوهرها حب الإنسانية وليدة انفعال عميق، أخلاق تقدم أخلاق حرية عاملة على التحرر من كل القيود التي تعيق التطور، أخلاق إبداع وتطور وروحانية معنى الإنجاب هو عبارة عن خروج الذات من الطابع الضيق إلى طابع أوسع معبرة عن ذاتها بواسطة الحب.

وفيها تظهر العاطفة الثالثة والتي هي عاطفة حب الإنسانية وهذا ما يظهر في قوله: "أما هي فلا يجذبها موضوعها ولا هي استهدفته بل وثبت إلى أبعد منه فلم تبلغ الإنسانية إلا بتخطيها لها لا بل سنتساءل فيما بعد هل لهذه العاطفة حقا من موضوع؟ ونكتفي الآن بأن نقول: إن هنا الوضع النفس وهو بالأحرى حركة مكتف بذاته"[2].

فالنفس في الأخلاق المفتوحة تتحول من الأسرة وهنا تكون العاطفة ضيقة ومحصورة ثم تتجاوز إلى الوطن وتكون كذلك غير كافية أما في العاطفة الثالثة وهي عاطفة الإنسانية.

---

[1] – نورة بوحناش: **إشكالية القيم في فلسفة برغسون**، مرجع سابق، ص 168.

[2] – برغسون: **منبع الأخلاق والدين**، مصدر سابق، ص 45–46.

وفيها تكتسي في المجتمع الجديد مفهوما آخر يحتوي حب الإنسانية ذلك أن الأخلاق المفتوحة عامرة بالحركة والخلق والتقدم وآية ذلك أن الإنسانية التي وصفها برغسون تتعالى على الظرف الضيق لها وتتفوق بروحانيتها وتتعامل مع المحبة لا كفكرة إنما كمعايشة وجدانية وسيرة للعمل.

فالإنسانية المفتوحة تتجه نحو القيم الأخلاقية وتعد بمستقبل للأخلاقية الجديدة، وهي جوهر أخلاق تطلع وهذا ما يعبر عنه برغسون من خلال: الوثبة الحية: فماهو مدلول الوثبة الحية عند برغسون؟

يعتبر برغسون من بين مؤسسي الدافع الحيوي فجل الدراسين يرون بأن الفلسفة الأخلاقية عند برغسون إنما هي تعبر عن تطلع يظهر من خلال نداء البطل كما يصطلح عليه، وهذا ما يظهر في قوله: «**ولكن هذا الإلزام هو قوة تطلع أو وثبة بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التي أوجدت النوع الإنساني وأوجدت الحياة الاجتماعية**»[1].

والوثبة هي عبارة عن وعي داخلي لدى مجموعة من الشخصيات والعظماء وفيها يتجلى نداء وهو عبارة عن حافز قوي وشديد مثاله ذلك ما عبر عنه نار تشتعل دفعة واحدة صاعدة صعودا مباشرا.

ويعتبر الفيلسوف اليوناني سقراط من بين الفلاسفة الذين استخدموا هذا المنهج خاصة في المجال المعرفي حيث كان التهكم من نصيب الأخلاق المغلقة وهو أسلوب يريد به سقراط إضعاف رأي الأخر والتراجع علي أرائه وإحراجه ليبد في المرحلة الثانية

[1]– برغسون: **منبعا الأخلاق والدين**، مصدر سابق، ص 62.

وهي مرحلة التوليد وتمتاز هذه المرحلة بتوليد الأفكار الجديدة وذلك من خلال المرحلة المرحلة الأولي وهي نتاج جهد يستخدمه سقراط مع تلامذته

ثانيا: الحدس والقيم الجمال

لطالما سعى برغسون الى تأسيس منهج فلسفي خاص به يقوم على الإدراك الباطني المباشر للمواضيع والأشياء هذا ما يسمى إن أمكن الإدراك الجمالي أو الإدراك الكيفي للموضوع.

وإذا كان الفن والحدس يقومان في ظاهرهما العام على استبعاد كل ما يلاحظ طبيعيا بالفعل أي أنهما يقومان على تلك النقاط التي لإبرامها إلا من له قدرة على الإبداع.

لذلك فإن الفنان أو المبدع يمكن أن يكشف عنها بسهولة ومنه يمكن القول بأن الفن مظهر من مظاهر الحدس، وهذا ما يشير برغسون إلى كتابه من خلال الضحك « **ولذلك تتماثل وظيفة الحدس والفن في كونهما يقومان بإبعاد الأفكار المصطنعة التي نتجت من ارتباط قدرتنا الطبيعية بالفعل يضعنها مباشرة ذواتنا**»[1].

أ/ الجمال كمظهر حدسي من مظاهر الوجود:

لا شك أن الفن والإبداع من المظاهر الدالة على تجاوز الذات حدود ما ألفته و"دليل على قدرة في النفس فالفن في نظر برغسون دليل على إمكان الامتداد بملكات الإدراك الحسي إلى أبعد مدى من أجل رؤية ما نحن في العادة عاجزون عن رؤيته"[2].

ولاشك أن الإبداع مهما كان مجاله يقوم على خاصيتين أساسيتين:

---

[1]–Henri Bergson: Le rire, p.u.f, 173, edition1962, p17.

[2]– زكرياء إبراهيم: **فلسفة الفن في الفكر المعاصر**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، د. ت ، ص 16.

– فالأولى هي خاصية كامنة فيها لا نعيها إلا أن الفنان هو الوحيد القادر على كشفها وإبرازها.

– الخاصية الثانية: هي النظرة الأولية التي يلتقي فيها كل الناس حول موقفها الخاص من الإبداع.

وفي هذا المجال يوضح برغسون بعض الأسئلة قصد التطابق بين الحدس والجمال.

– فيرى بأن هناك صراع باطني بين قوى متنازعة أي بين قدرة الفنان الإبداعية وإمكانية تجسدها على أرض الواقع لتظهر في شكل نتاج إبداعي كما يشير بأن هناك عاطفة خلاقة تسمح بالإبداع والفن.

إذ أن التجربة الفنية يعيشها كل الناس وإن عجزوا عن الإبداع فلا شك أنهم يتحلون بصفة التذوق للفن.

ومن جانب آخر يرى برغسون أن الفنان في لحظة الإبداع يكون شخصا متناغم وملتحم مع الواقع، فلا شك أنه لا بالي ولا يعير أدنى اهتمام بالحياة المادية العملية إذ أنه يكرس اهتمامه على النقاط التي لا يعيها ولا يفهمها عامة الناس[1].

أي أنه يتجاوز الرؤية الكمية والمجزئة للواقع، فهو ينظر بمنظار ميتافيزيقي ينافي المادية أي يتعدى حدود العقل.

ومما لا شك فيه أن هناك علاقة وطيدة بين الحدس والفن، فالإبداع يزيل العواطف السطحية ويضع المتلقي أما ذاته عن طريق التذوق.

ومنه يمكن القول أن الفن هو في أصله توضيح لحقيقة الحدس الفلسفي.

---

[1] – نورة بوحناش: **إشكالية القيم في فلسفة برغسون**، مرجع سابق، ص 229.

كما يؤكد برغسون على أن كل محاولة لدراسة الفن بواسطة تعداد تقنيتها الخارجية محاولة فاشلة منذ البداية باعتبارها تقدم نتائج سطحية لا تعني حقيقة الفن هو في أصله توضيح لحقيقة الحدس الفلسفي.

كما يؤكد برغسون على أن كل محاولة لدراسة الفن بواسطة تقنيتها الخارجية محاولة فاشلة منذ البداية باعتبارها تقدم نتائج سطحية لا تعني حقيقة الفن والتذوق "فالسمة الأساسية التي يتميز بها العمل الفني الأصيل إنما هي استحالة التنبؤ به مقدما"[1].

كما يمكن القول أن علاقة الحدس بالفن في الطبيعة هي علاقة تكاملية فهما نابعان من مصدر واحد، ومن ذات واحدة وهي التجربة الإبداعية، ويظهر ذلك من خلال الديمومة.

فالفنان أو المبدع يعيش حالة من الخلق والإبداع والإدراك والجمال ولا يكون ذلك إلا من خلال تجربة مع الديمومة التي لا تقتضي بالضرورة التكرار والتعاقب وإنما ترى أن الجمال هو تلك العفوية في تلقائية في إطار ما يسمى بالديمومة، وفي هذا المقام يشير برغسون في كتابه منبعا الأخلاق والدين، إن في الخلق الفني لا شيء من ذلك مع هذا الفرق هو أن النجاح إن أصابه الأثر بعد أن أخطأ فإن مرد ذلك إلى التحول في الذوق العام، فالأثر إذاً قوة إلى جانب كونه مادة فقد فرض وثبة أثار فيه الفنان أو هي وثبة الفنان نفسه كانت في الأثر كامنة لا ترى، لمثل هذا يقال في الابتكار الأخلاقي[2].

---

[1]– زكرياء إبراهيم: **فلسفة الفن في الفكر المعاصر**، مرجع سابق، ص 25.

[2]– هنري برغسون: **منبعا الأخلاق والدين**، مرجع سابق، ص 83.

كما يمكن الإشارة إلى أن التجربة الإبداعية الفنية لها علاقة مباشرة بالحدس أي من زاوية الميتافيزيقا وليس لها علاقة بالجانب الجمالي في حد ذاته.

– والدارس لفلسفة برغسون نجده يستحضر التجربة الباطنية من باب التجربة الصوفية خاصة في كتابه منبعا الاخلاق والدين.

والتصوف في معجم **لالاند** «**هو الاعتقاد بإمكانية وجود وحدة حميمة ومباشرة بين العقل الإنساني والمبدأ الأساسي في الوجود وتؤلف هذه الوحدة نموذجا للوجود وللمعرفة في آن واحد يعلو على نموذج الوجود والمعرفة العادين [....]والظاهرة الأساسية في التصوف هي ما نسميه بالوجود وهي حالة ينقطع فيها كل اتصال بالعالم الخارجي، وفيها تكون للروح إحساس بأنها تتصل بموضوع باطني وهو وجود كامل وجود لا متناه هو الإله والتصوف حياة وحركة وتطور**»[1].

فظاهرة التصوف في عمومها ملازمة للشعور الديني المنبثق من ظاهرة الدين التي لم تخلو منه حضارة من الحضارات الإنسانية، فالتدين شعور أصيل في الحياة الإنسانية حتى وإن اتخذ صور وأشكال وصور مختلفة من بيئة لأخرى، أو أن هناك كائن أسمى من الانسان وقد كان ادراكه بالصورة التجريدية سواء كما عب عنه التفكير الفلسفي أو كما عبرت عنه الديانات التوحيدية الكبرى فهو مرتبط بدرجة النمو الإنساني منذ القدم.

والتلازم بين التصوف نجده يتجسد في علاقة بين الانسان والمطلق المقدس، كذلك التصوف نجده يتجسد في علاقة بين المتصوف والمتعالي.

[1] – أندري لالاند: معجم المصطلحات الفلسفية والنقدية، مرجع سابق، ص 662.

ب / تلازمية الحدس والفن:

يناقش هنري برغسون العلاقة بين الفن والحدس في كتابه الفكر والواقع المتحرك، يجعلنا الفن نكتشف في الأشياء كيفيات ودرجات أكثر من تلك التي تعودنا ادراكها في الحالة العادية والحال أن الفن يمتد في ادراكنا ولكن في السطح أكثر مما يمتد به في العمق إنه يعني حاضرنا ولكنه لا يجعلنا أبدا نتجاوز هذا الحاضر، ولكن بفضل الفلسفة نستطيع التعود على ان نفصل الحاضر عن الماضي الذي يجره خلفه دائما، فبفضلها تتصل كل الأشياء إلى العمق شيء كالبعد الرابع الذي يمكن ادراكاتنا السابقة من أن تبقى في اتحاد مع الادراكات الحاضرة[1].

فمن خلال نصص برغسون يمكن القول أن الابداع والخلق للتجربة الباطنية هي دليل على تلك القدرات التي يتصف بها الفنان على غيره من عامة الناس فهو انسان يستطيع التعبير والكشف عن التجربة الباطنية إذ يتخذ الفن كوسيلة لإدراك الزمن، كما يمكن القول أن هذه الطاقات الإبداعية الروحية ترافق المبدع طيلة فترة ابداعه.

ومما سبق يمكن القول أن الحدس الفني له علاقة بماشرة بالصور والكلمات فهو غاية قصوى في الابداع، فلا شك أنه يتجسد في ذلك الأثر الفني الذي يتبناه المبدع.

كما يمكن القول بأن الحدس الفني هو أحد مظاهر التجربة الإبداعية فقط، فهو يلازم الفنان ويتوقف حين تتجلى الصورة أو القصيدة وفي هذا المقام يقول برغسون في "فالأثر العبقري في الأدب والفن إنما هو نتاج انفعال فريد من نوعه ظن أنه لا يعبر عنه ويريد أن يعبر عن ذاته، فليس الأمر كذلك في كل أثر ينطوي على نصيب من الإبداع مهما يعتري هذا الأثر من النقص.

---

[1]– هنري برغسون: **منبعا الأخلاق والدين**، مصدر سابق، ص 83.

كل ما توفر عن تأليف الأديب قد عرف ما هناك من فرق بين العقل الصر أو العقل يحرقه انفعال أصيل وفريد ناشئ أي ناشئ عن حدس"[1].

إن تاريخ الفن يري بأن التجربة الإبداعية لا تتوقف عند رؤية الواقع الذي هو الذات في انصين بها والكشف عن الأداة والفعل والجهد فالجمالية التقنية والصناعة ما هي إلا تجسيد في الحقيقة للعمل الفني في وجود موضوعي يرقى بدرجات كثيرة عن العاطفة التي تجسد في الحقيقة للعمل الفني في وجود موضوعي يرقى بدرجات كثيرة عن العاطفة التي أنتجته في الحقيقة للعمل الفني في وجود موضوعي يرقى بدرجات كبيرة عن العاطفة التي أنتجته، فالفن من زاوية اعتباره محاولة ذوقية لتطويق الطبيعة تطويعا يكمل حضور الإنسان في العامل ودعامة ضرورية في إنشاء الحضارة.

فهو يتجاوز الحاجات العضوية إلى خلق عالم غير يسير من إنسانيته ويحسم مواقف الإبداع التي تسكنوه. وهذا ما يمكن تسميته بالحدس الفني في نظر برغسون.

[1]– هنري برغسون: **منبعا الأخلاق والدين**، مصدر سابق، ص 54.

خاتمة

الخاتمة

تتضمن الخاتمة عرضا لأهم النتائج التي تم استخلاصها من هذا الموضوع، وهي كالآتي:

حاول برغسون أن يوجه السؤال عن الوجود ويغير سياق البحث كله، من تلك الرؤية العملية المؤهلة لدور العقل في فهم ظواهر وبواطن الأشياء إلى معرفة حدسية تسعى لجعل الأنا العميق هو الحامل للمعاني الفعلية للوجود، وهو المحرك الفعلي للحياة إذا ما فهمنا الحياة بأنها ذاك التواصل الزماني المستمر.

سعى برغسون من خلال إبراز أوجه الاختلاف والتباين فيما بينها لطرح إشكالي جديد في الفلسفة يرتكز على المنهج الحدسي في البحث المؤسس حسب جيل دولوز في خلق المشكلات وإبداعها أكثر من حلها، أي اهتم بطرح المشكلات طرحاً صحيحاً من خلال تغيير نظرة الفيلسوف إلى الأشياء، والتي هي متمحورة في الغالب على نظرة عملية تسعى في محاولة دؤوبة لمد جسور الفهم والتآلف بين الفكر والواقع، إلى نظرة تأملية خالصة في الذات الإنسانية .

الحدس هو قوة مبدعة لمفاهيم الوجود وهو ثاوٍ في مجال الفلسفة وأحد مناهجها الحامل لمعاني ودلالات الإشكالات الوجودية المستعصية أحياناً عن الفهم. وهو المنهج الأكثر إعداداً الذي من الممكن أن تعتمده الفلسفة في خلق مفاهيمها وإدراك المعنى الحقيقي للوجود.

فإن كان العلم يبتغي طريق التحليل والتركيب مُؤَلّهاً دور العقل في بلوغ الحقيقة وفي تحديد طبيعة الأشياء المادية والروحية على حد سواء. فإن برغسون يجعل من الحدس الأداة الفعلية في إدراك حقائق الأشياء والكشف عن مكنونات ذواتنا بغية معرفة وتفسير الظواهر الحالّة في عالم المادة – أو ما يسميه برغسون بعالم المكان.

ولا يمكن فهم الفكر البرغسوني عامة والحدس خاصة إلا بالرجوع إلى النقطة التي اعتبرها البداية الحقيقية لفلسفته ألا وهي الديمومة.

إلا أن هناك جملة من الانتقادات التي وجهها بعض مؤرخي الفلسفة للحدس البرغسوني نذكر منها ما يلي:

– يزعم برغسون أن الحدس يوصلنا إلى ما لا يمكن التعبير عنه، ومعنى هذا أن حدسه شخصي لا يمكن أن يقدم بلاغة المعرفي تقديما واضحا، لكن الواقع يثبت أنه لا يوجد فكر يمكن معرفته إلا إذا ترجمانه إلى رموز، كما أن معرفة الفرد يمكن تقديرها بالقليل أو الكثير ولكن حدس برغسون لا تنطبق عليه هذه الخاصية.

– يمكن اعتبار الحدس البرغسوني ضربا من الحساسية الوجدانية التي تبعد الفلسفة عن العقل، وتهوي في أعماق الوجدان والخيال الرومانتيكي، فالفلسفة تفكير وليست عاطفة، واستعانة برغسون بالصور والخيال والتشبيه ليس من قبيل الفلسفة، ولكنه يعود بنا إلى الغريزة والحساسية دون أن يعطينا أي معرفة تعلو على العقل.

– بالغ برغسون في الاهتمام بالزمان الشعوري على اعتبار أنه الزمان الحقيقي فاستبدل الواقع كله بزمان الديمومة وعاب على الفلاسفة إهمالهم لهذا الزمان واهتمامهم بالزمان المكاني مع أن هذا المكان وذلك الزمان هما الواقع المعروف عند كل الناس.

إلا إن هذه الانتقادات لا تنقص من شأن هذه الفلسفة التي يعتبرها التي تعتبر من بين الفلسفات الكبرى التي حاولت أن تعالج مشاكل الإنسان المعاصر، وتضع حدا للمد العلمي المادي الذي طغى على الحياة المعاصرة، كما حاولت أن تعلي من شأن الإنسان وترد له الاعتبار.

ولعل الاهتمام بالإنسان كان أولى محاولات البرغسونية من حيث هو كائن يعرف فكان المشروع المعرفي منطلقا من الديمومة، الفرد، السيكولوجيا ثم وسعها على الحياة البيولوجية ومن ثم على الحياة الاجتماعية والأخلاقية فالدينية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- هنري برغسون: **التطور المبدع**، ترجمة جميل صليبا، اللجنة اللبنانية للترجمة، بيروت ـ لبنان، 1981.

هنري برغسون: **الطاقة الروحية**، ترجمة علي مقلد، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ببيروت، 1991.

2- هنري برغسون: **بحث في المعطيات المباشرة للشعور**، ترجمة، الحسين الزاوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2009.

3- هنري برغسون: **منبعا الاخلاق** والدين، ترجمة سالم الداروبي وعبد الله بن الدائم، الهيئة العامة للتأليف والنشر، دد، دط، 1971.

ثانيا: المراجع

4- توفيق الشريف: **برغسون وفلسفة الحياة**، دون طبعة، المنشورات للإنتاج والتوزيع، تونس، 1993.

5- جول دولوز: **نيتشه والفلسفة**، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، ط1، 1993.

6- جيل دولوز: **البرغسونية**، ترجمة أسامة الحاج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط1، 1997.

7- رنيه ديكارت: **مقال عن المنهج**، ترجمة، محمود محمد الخضيري، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1985.

8- زروخي الدراجي: **المذاهب الفلسفية الكبرى**، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية ـ الجزائر، ط1، 2015.

9- زروخي الدراجي: **المذاهب الفلسفية الكبرى**، من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، 2015،

10- زكرياء إبراهيم: **فلسفة الفن في الفكر المعاصر**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، د.

11- الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 1990.

12- عبد الرحمن بدوي: **مناهج البحث العلمي**، وكالة المطبوعات , الكويت , ط 3, 1977.

13- فريدريك نيتشه: **أصل الأخلاق وفصلها**، ترجمة حسن قبس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1971.

14- كلود برنارد: **مدخل إلى دراسة الطب التجريبي**، ترجمة يوسف مراد، د. ت

15- محمد محمد قاسم: **المدخل إلى فلسفة العلوم** ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ـ مصر،1966.

16- محمود قاسم: **المنطق الحديث ومناهج البحث**، ط 6، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، 1970.

17- نورة بوحناش: **إشكالية القيم في فلسفة برغسون**، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، الجزائر.

18- إبراهيم مدكور: **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاصرة ـ مصر، 1983

ثالثا: المعاجم و الموسوعات

19- إبراهيم مصطفى: **المعجم الوسيط**، ج1، المكتبة الإسلامية اسطنبول ـ تركيا, د. ت.

20- ابن منظور: **لسان العرب**, ج2، ، دار صادر، ط1، بيروت . لبنان، د. ت.

21- أندري لالا ند: **الموسوعة الفلسفية** ، ترجمة ، خليل أحمد خليل، ج 2، **مادة: حدس**، منشورات عويدات، بيروت ـ لبنان، ط 2.

22- جمال الدين سعيد: **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، دار الجنوب، تونس د، ط،2004 .

23- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني . بيروت ـ لبنان، 1978.

24- عبد المنعم حنفي: **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ط3، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة ـ مصر.

25- معن زيادة: **الموسوعة الفلسفية العربية**، ج1، (المدارس والمذاهب والاتجاهات والتيَّارات)، معهد الانماء العربي بيروت ـ لبنان، ط1، 1988.

رابعا: المجلات والدوريات

26- فوزية ضيف الله : **ما معنى أن يكون الحدس عند برغسون منهجًا للتفكير؟ المنشور في شبكة الواب، موقع مؤسسة، مؤمنون بلاحدود** ***http://www.mominoun.com/articles***

27- كمال طيرشي: **الفلسفة الروحانية عند هنري برغسون**، مجلة مقاربات فلسفية، العدد4، ديسمبر، 2014، الجزائر،

28- ميلود العربي: **المنهج في الفلسفة وإمكانية التجاوز البرغسوني**، مقال منشور في مجلة الكلمة نت، في شبكة الأنترنت http://www.kalema.net/v1.

فهرس الموضوعات

الشكروالتقدير.....

مقدمة..... 03

الفصل الأول

في مفهوم المنهج وأنواعه

أولا: مفهوم المنهج..... 07

ثانيا: أنواع المناهج..... 14

أ/ المنهج العقلي.....

بـ/ المنهج التجريبي.....

ج/ المنهج التاريخي.....

د/ المنهج الحدسي.....

الفصل الثاني

حقيقة الحدس وقواعده عند برغسون

أولا: مفهوم الحدس عند برغسون..... 25

ثانيا: الحدس وقواعد توجيه التفكير عند برغسون.....

أ/ القاعدة الأولى: الحدس هو الذي يبتدع المشكل الحق

بـ/ القاعدة الثانية: الحدس هو مبدأ التفريق بين الأشياء

ج/ القاعدة الثالثة: الحدس يقتضي التفكير بالزّمان

الفصل الثالث

الحدس في مجال القيم

أولا: الحدس والقيم الخلقية..... 44

ثانيا: **الحدس والقيم الجمالية**..... 59

أ/ الجمال كمظهر حدسي من مظاهر الوجود

بـ / تلازمية الحدس والفن

الخاتمة.....

ملحق أهم المصطلحات.....

قائمة المصادرالمراجع..... 67

فهرس الموضوعات..... 70